اليقين في القرآن الكريم

د. وفاء بنت عبد الله الزعاقي

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات القرآنية

كلية التربية – جامعة الملك سعود

ملخص البحث

لليقين مكانة عظيمة في القرآن الكريم فهو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شبهة الموجب للعمل. وهو شرط لازم للانتفاع بالمعرفة ومنهج ضابط لحسن استثمارها. وقد ورد اليقين في القرآن الكريم ثماني وعشرون مرة في خمس صيغ، دلت بمجموعها على إن اليقين فعل المؤمن المستمر، وحاله التي لا تتغير، وصفته الملازمة له التي تميزه بين الآخرين.

ولليقين علاقة عظيمة بالمعرفة، ولأجل ذلك كان اليقين أحد مقاصد القرآن، والوسيلة لتثبيت الرسولﷺ على إنه نبي الله المصطفى، وهو دافع العمل وعلة قبوله. ولأهمية اليقين نالت هذه الأمة شرف الشهادة على الأمم يوم القيامة.

إن اليقين سابق في وجوده على المعرفة، ولذا فإن الأصل تعميق اليقين في النفس أولا عن طريق تذكير القلب بالقضايا الفطرية اليقينية، ومن ثم زيادة اليقين من خلال المعرفة الصحيحة حتى يكون للمعرفة أثر في تصحيح السلوك، وبناء المنهج السليم. وبدون ذلك فإن المعرفة العارية عن اليقين لا ترفع الجهل ولا تعالج آفاته. فالجهل ضد اليقين، ولذا فإن استئصاله لا يحدث إلا من خلال اليقين الذي يرتقي صاحبه فيه من خلال طلب العلم والعمل به.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى وآله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فلقد جاء الوحي – الكتاب والسنة – باليقين كأساس لبناء المعرفة، وحث على ضرورة الأخذ بالسبل الموصلة إليه، وسلك الأساليب المتنوعة لبناء اليقين المعرفي في القلب بناء لا يحتمل الشك بوجه من الوجوه؛ إذ الغاية من المعرفة العمل بمقتضاها، والاهتداء بها عند السعي في مناكب الأرض، والعمل على عمارتها. وبدون اليقين لا يتحقق العمل على الوجه الصحيح، ناهيك عن ضعف الإرادة للعمل الصالح، فالمعرفة العارية عن اليقين أو المبنية على الشك والريب معرفة هشة لا قيمة لها؛ لأنها لا تثمر عملا صحيحا، ولا تبني فكرا واعيا، ولا تؤسس مجتمعا قويا متمدنا. فلا معرفة بلا يقين، ولا يقين مع وجود الشك. ومن هنا نلحظ أهمية نفي الشك عن القرآن في مطلع سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]، وفي ذلك إثبات كمال يقينه، وهذه مُسلَّمة يبتدئ بها القرآن الكريم بصفته كتاب علم وبصيرة وهداية.

إن معرفة الحق معرفة يقينية والإقرار به هو أعلى مرحلة يصلها العقل. وأعظم أزمة يمر بها الفكر الإنساني قديما وحديثا أزمة عدم اليقين؛ إذ إن جحد الحق والتشكيك فيه علامة على عدم العقل، كما دل على ذلك نص القرآن عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ

وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٤-٢٨].

قال ابن تَيْمِيَّة: «فبين له موسى أنكم الذين سلبتم العقل النافع، وأنتم أحق بهذا الوصف فقال: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾. فإن العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها في الفطرة الإقرار بالخالق، فلما ذكر أولا أن من أيقن بشيء فهو موقن به، واليقين بشيء هو من لوازم العقل، بين ثانيا أن الإقرار به من لوازم العقل. وقوم فرعون لم يكن عندهم اتباع لما عرفوه؛ فلم يكن لهم عقل ولا يقين.

وكلام موسى يقتضي إن كان لك يقين فقد عرفته، وإن كان لك عقل فقد عرفته...» [1].

إن اليقين قاعدة ضابطة للمعرفة، ومسلك حتمي لتحصيلها. فاليقين حق والحق ليس بعده إلا الضلال، ومتى سلك العقل في تحصيل المعرفة غير مسلك اليقين فلابد أن يؤدي به ذلك إلى الضلال والحيرة والشك، فيقع في الإلحاد الفكري، والانحراف المنهجي، والانحطاط السلوكي.

وموازنة سريعة بين منهج اليقين الذي سلكه السلف في فهم القرآن والسنة، وبين منهج التأويل المنحرف الذي سلكه أهل الأهواء والبدع في فهم النصوص؛ يكشف للمتأمل أثر اليقين بالنسبة لأهل السنة في تأسيس العقلية الراسخة اليقظة المبدعة القادرة على توظيف المعرفة توظيفا معتدلا، انعكس أثره على نهضة المجتمع وعلوه وقوته[2].

(١) الفتاوى (١٦/ ٣٣٦-٣٣٧).

(٢) وأعظم الأدلة على ذلك النهضة العلمية لدى علماء السلف، ولا سيما إبداعهم في تأسيس علم الإسناد الذي هو خصيصة هذه الأمة، وأصل نشأته رسوخهم في التثبت وتحري الصدق في تلقي الأخبار ونقلها، والحذر من الكذب على رسول الله ﷺ. وكل ذلك ولّد =

أما منهج أهل الأهواء فقد ولد عقلية حائرة متناقضة مبتدعة، حيث انحرفت في التعامل مع المعرفة فوظفتها توظيفا جعلها مجالا للصراع الفكري، والتفرق المذهبي، والنزاع السياسي؛ مما أدى إلى ضعف المجتمع وتمزقه وتفرقه إلى دويلات وأحزاب متصارعة.

إن اليقين شرط من شروط الإيمان، ومعيار لسلامة الاعتقاد، ودافع لتحقيق العمل الصالح قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات: ١٥]. قال القرطبي: «أي: صدقوا و لم يشكوا، وحققوا ذلك بالجهاد والأعمال الصالحة.»[١]. فالشك وعدم اليقين يوقع صاحبه في النفاق ويمنعه من أداء العمل الصالح. **فعَنْ عبد اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو** رضي الله عنه **أَنَّ النَّبِيَّ** ﷺ **قَالَ: ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»** [٢].

إن العمل الصالح لا يصدر إلا عن يقين وقد جاءت السنة ببيان أن الإيمان قول وعمل **ففي حديث وفد عبد القيس أن رسول الله** ﷺ **قال: ((أتدرون ما الإيمان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام**

=

قواعد النقد عند المحدثين وضوابط الجرح والتعديل، وهذا ما يؤكد على الإبداع لدى علماء السلف في حفظ العلم وحمايته من الكذب والتحريف والخلل.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) صحيح البخاري/ ك: (٢) الإيمان/ ب: (٢٣): علامة المنافق/ ح٣٤.

رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس))[١].

وعلى هذا فإن اليقين قضية محورية في الكتاب والسنة، وهو مقصد من مقاصد خطاب القرآن الكريم، وعلم جدير بالبحث والدراسة؛ ولذا اجتهدت في جمع الآيات، وما تيسر من الأحاديث الصحيحة المتعلقة بهذا الموضوع، ثم قسمت موضوعاتها ضمن المباحث التالية:

عنوان الدراسة:

اليقين في القرآن الكريم.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للكشف عن إجابة لعدد من التساؤلات التالية:

- ما العلاقة بين اليقين والإيمان في القرآن الكريم؟
- كيف يمكن تأصيل المعرفة من خلال دراسة اليقين في القرآن الكريم؟
- هل اليقين مقصد من مقاصد القرآن الكريم؟
- لماذا يضعف اليقين عند كثير من الناس؟
- ما الوسائل المعينة على نشر وبناء اليقين المعرفي في ضوء القرآن الكريم؟

أهداف الدراسة:

هناك عدد من الأهداف تسعى الدراسة لتحقيقها وهي:

١-تعريف اليقين في القرآن الكريم.

٢-بيان علاقة اليقين بالمعرفة.

(١) صحيح البخاري/ ك: (٢) الإيمان/ ب: (٣٨): أداء الخمس من الإيمان/ ح٥٣.

٣-إبراز منــزلة اليقين في القرآن الكريم.

٤-استنباط منهج القرآن الكريم في بناء اليقين.

٥-الكشف عن مانع اليقين في القرآن الكريم، وسبل مواجهته.

الدراسات السابقة:

١- الشك واليقين في ضوء القرآن الكريم وأثرهما في الحياة: إعداد حواء محمد هوساوي.

٢- اليقين وأثره في حياة المؤمنين في ضوء السنة النبوية: إعداد هيلة بنت محمد القحطاني.

٣- اليقين ومكانته التربوية في المعرفة الإسلامية دراسة تحليلية: إعداد مأمون بن صالح النعمان.

٤- المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله ﷻ ودلالاته التربوية: د.مبارك بن محسن الشعبي.

إضافة البحث:

أولا: الشك واليقين في ضوء القرآن الكريم وأثرهما في الحياة: إعداد حواء محمد هوساوي.

ينقسم البحث إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: اشتمل على سبعة فصول تناولت فيه الباحثة الحديث عن الشك كما ورد في القرآن الكريم.

الباب الثاني: اشتمل **على** أربعة فصول تناولت فيه الباحثة الحديث عن معاني اليقين وإطلاقاته كما وردت في القرآن الكريم.

الباب الثالث: **اشتمل** على ثلاثة فصول تضمنت الحديث عن آثار الشك واليقين وأثرهما في الحياة.

إضافة البحث:

١- اقتصرت الدراسة على اليقين في القرآن الكريم دون الشك. خلاف دراسة السابقة التي تناولت الشك واليقين في القرآن الكريم.

٢- لم تعن الدراسة السابقة بدراسة ألفاظ اليقين في القرآن الكريم، ودلالة كل لفظة حسب سياقها في النص القرآني، ولذا فإن هذه الدراسة اعتنت بجمع ألفاظ اليقين القرآن الكريم، ودراستها وفق منهج التفسير الموضوعي بهدف استخراج دلالة هذه الكلمة في القرآن الكريم.

٣- اعتنت الدراسة السابقة بدراسة اليقين بصفته علاجا للشك والاضطراب في مسائل الاعتقاد، أما الدراسة التي بين أيدينا فهي تناولت اليقين كمقصد من مقاصد القرآن الكريم، وغاية يسعى القرآن الكريم لتحقيقها، بصفته كتاب علم وهداية.

٤- لم تعن الدراسة السابقة ببيان العلاقة بين اليقين والمعرفة، إذ إن ذلك ليس من أهداف الدراسة. أما الدراسة التي بين أيدينا فكان من أهدافها إبراز العلاقة بينهما، وأثر ذلك في توجيه المعرفة توجيها صحيحا.

ثانيا: اليقين وأثره في حياة المؤمنين في ضوء السنة النبوية: إعداد هيلة بنت محمد القحطاني.

ينقسم البحث إلى بابين:

الباب الأول: يشتمل على معنى اليقين ومترلته ومراتبه وعلاقته بأعمال القلوب تم عرضها من خلال فصليين يحتوي كل فصل على عدد من المباحث.

الباب الثاني: فقد تضمن الحديث عن مجالات اليقين تصديقا وانقيادا

وتحقيق اليقين وآثاره وثماره. تم بيان تلك الموضوعات ضمن ثلاثة فصول.

إضافة الدراسة:

١- الدراسة السابقة اعتنت بدراسة اليقين في السنة المطهرة، ثم أوردت آيات اليقين ضمن ذلك، أما هذه الدراسة فقد اعتنت بجمع ودراسة آيات اليقين، ثم أوردت الأحاديث باعتبارها أعظم مصدر لتفسير القرآن العظيم.

٢- عدت الدراسة بعض ثمرات اليقين من الألفاظ المرادفة لليقين كالطمأنينة والبصيرة والطمع. ولذا سعت الدراسة ذكر مرادفات اليقين دون غيرها من ثمراته، كما في الدراسة السابقة.

٣- في تعريف اليقين اصطلاحا قالت الباحثة: وبالنظر والتأمل فيما سبق من أقوال العلماء في بيان معنى اليقين فإننا نخلص إلى أن معنى اليقين في الاصطلاح هو: « الاعتقاد بأصول الدين، اعتقادا جازما ثابتا، مزيلا للشك والريب، محققا للطمأنينة والسكينة، ومطابقا للواقع، وموجبا للعمل».

وحيث إن التعريف تضمن عبارات لا حاجة لها في التعريف الاصطلاحي، وحيث إن كلام العلماء في اليقين أكثر دقة وأكثر شمولية، فقد اكتفت الدراسة الحالية بجمع أقوال العلماء وتصنيفها بحسب موضوعاتها ثم اختيار الأرجح منها بحسب معطيات معنى اليقين في الكتاب والسنة.

٤- اشتملت الدراسة على بعض الأحاديث الضعيفة وقد أوردتها الباحثة مستنبطة منها نتيجة أو فائدة. ولذا فإن هذه الدراسة اعتنت بالأحاديث الصحيحة دون غيرها، إذ الغاية من الدراسة استنباط

الهدايات والنتائج العلمية التي تضمنها نصوص الكتاب وصحيح السنة في حديثها عن اليقين.

٥- اعتنت الدراسة السابقة ببيان آثار اليقين إذ هو هدف من أهداف البحث كما تبين من العنوان، أما الدراسة التي بين أيدينا فقد اعتنت ببيان منهج بناء اليقين في القرآن الكريم، وإبراز معارضات اليقين ومضاداته وسبل علاجها.

ثالثا: اليقين ومكانته التربوية في المعرفة الإسلامية دراسة تحليلية:

إعداد مأمون بن صالح النعمان.

اشتلمت الدراسة على أربعة فصول: الفصل الأول: تضمن الإطار العام للدراسة.

الفصل الثاني: اشتمل على مفهوم اليقين ومكانته التربوية والمعرفية.

الفصل الثالث: الوسائل التربوية لتحقيق اليقين رسوخا وارتقاء.

الفصل الرابع: الأساليب التربوية لتحقيق اليقين.

إضافة الدراسة:

١- الإضافة من حيث المنهج إذ إن الدراسة السابقة تناولت موضوع اليقين من زاوية البحث في أصول التربية الإسلامية، وليس من زاوية التفسير الموضوعي. حيث إن منهج التفسير الموضوعي يعنى بجميع ألفاظ اليقين في القرآن ودراسة صيغها ومعانيها في سياقها ثم استخلاص الدلالات والهدايات لمعنى اليقين. أما بحوث أصول التربية الإسلامية فهي تذكر الآيات والأحاديث كأدلة تنطلق منها لتبين ما تريد بيانه فيما يتعلق بموضوع الدراسة.

٢- في الدراسة السابقة خلصت الباحثة إلى أن العلاقة بين المعرفة

الإسلامية واليقين علاقة لازم بملزومه وعلاقة تكاملية. إما الدراسة التي بين أيدينا فقد خلصت إلى إن اليقين مُوَجِّه للمعرفة، إذ المعرفة حقيقة لا تنفع صاحبها إلا إذا كان لديه إيمان راسخ ويقين ثابت، فالمعرفة حينها تزيد اليقين وتجلي أي اضطراب أو تردد، وتمكن المرء من إتقان العمل وإحسانه. أما إذا صادفت المعرفة عقلا شاكا، وقلبًا غير مطمئن بالإيمان فإن المعرفة تزيده شكا وإنكارا.

٣- تطرقت الدراسة للأساليب التربوية لتحقيق اليقين، باعتبار البحث في أصول التربية، فجاء عرض تلك الأساليب وفق منهج بحوث التربية الإسلامية. أما في هذه الدراسة فقد اشتملت على بيان منهج القرآن والسنة في بناء اليقين وفق منهج التفسير الموضوعي كما أضافت مبحث موانع اليقين وهذا ما لم تتطرق إليه الدراسة السابقة.

رابعا: المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله ﷻ ودلالاته التربوية: د. مبارك بن محسن الشعبي.

اشتملت الدراسة على ثلاثة فصول: الفصل الأول: تعريف بمفاهيم الدراسة وأهميتها وأهمية دراسة حياة الأنبياء والصالحين ومعنى تربية اليقين.

الفصل الثاني: تحليل نماذج من قصص التربية على اليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى ورد ذكرها في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى المستخلص من تربية الله سبحانه وتعالى وأوليائه في القرآن الكريم ودلالاته التربوية.

إضافة الدراسة:

١- جمع الآيات المتعلقة باليقين ودراستها وفق التفسير الموضوعي إذ إن

الدراسة السابقة لم تعنَ بجمع ألفاظ اليقين في القرآن ودراستها من كتب التفسير واستنباط هدايات الآيات بعد ذلك.

٢- عدم التركيز على قصص القرآن إذا المقصود معرفة حقيقة اليقين كمقصد من مقاصد القرآن الكريم، بخلاف الدراسة السابقة التي كانت دراسة القصص عنصرا مهما من عناصر البحث.

٣- اشتمال الدراسة على بيان منهج القرآن في بناء اليقين خلاف ما تضمنته الدراسة السابقة.

٤- عناية الدراسة ببيان اليقين في القرآن الكريم دون تخصيصه بقدرة الله تعالى، إذ إن الدراسة السابقة كان غايتها بيان المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله تعالى ودلالاته التربوية.

منهج الدراسة:

اعتمدتُ منهج التفسير الموضوعي، والمنهج التحليلي، والاستنباطي في الدراسة.

حدود الدراسة:

تلتزم الدراسة بما يلي:

١- دراسة الآيات وما أمكن من الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها لفظ اليقين، أو الألفاظ الدالة على اليقين، فأعرضها وفق أهداف البحث، متجنبة الخوض في تفاصيل المسائل التي لا تخدم أهداف البحث.

٢- عدم التعرض لمباحث تم دراستها في الدراسات السابقة، إلا في حدود ما تحتاجها الدراسة كتعريف اليقين لغويا أو في القرآن الكريم على أن يتم عرضها وفق رؤية الباحثة.

خطة الدراسة:

المقدمة.

التمهيد ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: معنى اليقين.

المطلب الثاني: علاقة اليقين بالمعرفة.

المبحث الأول: دلالات اليقين في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: منــــزلة اليقين في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: منهج بناء اليقين في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: مانع اليقين في القرآن الكريم وسبل مواجهته.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

التمهيد

المطلب الأول: معنى اليقين:

أ. اليقين في اللغة:

يرجع اليقين في جميع اشتقاقاته إلى معنى واحد، وإن اختلفت الألفاظ في التعبير عنه. قال الخليل:«وقد أيقن يُوقن إيقانا فهو موقن، ويَقن يَيْقَنُ يَقَنًا فهو يَقِنٌ، وتَيَقَّنْتُ بالأمر، واستيقنت به، كله واحد» (١).

فاليقين لغة: زوال الشك وتحقيق الأمر بالعلم الحاصل بعد نظر واستدلال، فالموقن هو العالم بالشيء بعد حيرة الشك (٢).

ولا نكاد نجد مخالفة لأهل اللغة في هذا المعنى، وإن وجدنا زيادة بيان عند بعضهم.

وقال الفيومي:«اليقِينُ العلم الحاصل عن نظر واستدلال؛ ولهذا لا يسمى علم الله (يَقِينًا) و (يَقِنَ) الأمر (يَيْقن) (يقَنًا)، من باب تعِب إذا ثبت ووضح، فهو (يَقِينٌ) فَعيل بمعنى فاعل ويستعمل متعديا أيضا بنفسه، وبالباء فيقال: (يَقِنْتُهُ)، و (يَقِنْتُ) به، و (أيْقَنْتُ) به، و (تَيَقَّنْتُهُ)، و(اسْتَيْقَنْتُهُ)، أي علمته» (٣).

عند تأمل هذه الدلالة اللغوية لليقين نخلص إلى نتيجتين:

---

(١) العين (٤/ ٤١٣).

(٢) انظر تهذيب اللغة، للأزهري/ مادة يقن، لسان العرب، مادة: يقن (١٥/ ٤٥٤)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٥٧)، الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري/ ٦٣، والقاموس المحيط: مادة يقن، المصباح المنير، للفيومي مادة يقن .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٨١).

الأولى: إنَّ اليقين أعلى درجة في العلم يصل إليها الفرد من خلال بذل الجهد في البحث العلمي المؤصل(١)؛ دون الاعتماد على المحاكاة أو التقليد أو التبعية الفكرية. إذ إن اليقين درجات يتفاوت فيها الناس بحسب سعيهم فيها.

الثانية: يلزم من وجود اليقين زوال الشك من القلب. وما يعتري الموقن من حالات فيها اضطراب أو قلق أو اشتباه في أمر قد يكون لأحد سببين:

الأول: حاجة الإنسان لزيادة في درجة اليقين من خلال البحث والنظر والسؤال ليصل إلى درجة الاطمئنان، وليس لوجود الشك في القلب. وهذا كحال نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما طلب رؤية إحياء الموتى فقال له تعالى: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾[البقرة: ٢٦٠].قال ابن عاشور: «فقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ كلام صدر عن اختباره يقينه وإلفائه سالما من الشك.

وقوله: (ليطمئن قلبي) معناه لينبت ويتحقق علمي وينتقل من معالجة الفكر والنظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافا لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشبه عن العقل(٢).

الثانية: الغفلة التي تصيب القلب والعقل فيحتاج إلى تذكير وتذكر ليزداد يقينه، ويثبت إيمانه، فيشمر للعمل والجد فيه.

---

(١) فاليقين لا يتحقق بأعلى درجة يمكن أن يصل إليها الإنسان إلا من خلال البحث العلمي، ولذا فإن العامي الذي ليس عنده قدرة بحثية أضعف يقينًا من العالم المتمكن من أدوات البحث، في آيات الله القرآنية والكونية.

(٢) التحرير والتنوير (٣/ ٣٨-٣٩).

قال الشيخ محيي الدين:«أن المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته عن مقدمة من مقدمات دليله أو طريان ما يتوهم كونه واقعا أو معارضا لتلك المقدمة. فثبوت اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك [١].

وقال ابن تَيْمِيَّة: «ثم اليقين ينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب. فإن العبد قد يعلم علما جازما بأمر؛ ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه العلم، كعلم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه؛ ولا خالق غيره وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه، وقد لا يصحبه العمل بذلك؛ إما لغفلة القلب عن هذا العلم، والغفلة هي ضد العلم التام وإن لم يكن ضدا لأصل العلم، وإما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب، وإما لغير ذلك»[٢].

ب. اليقين عند العلماء:

ليس هناك تعريف متفق عليه لليقين، بحيث يمكننا القول: تعريف اليقين اصطلاحا، فغالب من عرف اليقين اعتمد على معناه في اللغة، أو على وصف حال الموقن، أو من خلال بيان ثمراته، ويمكن تصنيف ما وقفت عليه من التعريفات لمعنى اليقين على النحو التالي:

أ- تعريفه من خلال وصف حال الموقن:

قال الراغب: «سكون الفهم مع ثبات الحكم»[٣].

(١) حاشية الشيخ محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٨/ ٤٠٣).

(٢) الفتاوى (٣/ ٣٢٩ _ ٣٣٠).

(٣) الكليات/ ٩٨٠.

وقال ابن تَيْمِيَّة: «اليقين طمأنينة القلب، واستقرار العلم والعمل فيه. والموقن من استقر في قلبه العلم والعمل»(١).

وقال الشربيني:«اليقين صفة من صفات العلم، وهي فوق المعرفة، والدراية، وهي سكون الفهم، مع ثبات الحكم، وزوال الشك (٢).

ب- تعريفه من خلال وصف اليقين بالاعتقاد الجازم المبني على دليل:

قال الجرجاني في تعريف اليقين:« اعتقاد الشيء بأنه كذا، مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقا للواقع غير ممكن الزوال. وقال: والقيد الأول جنس يشتمل على الظن أيضا، والثاني يخرج الظن، والثالث يخرج الجهل، والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب»(٣).

وقال أبو البقاء: «اليقين الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع»(٤).

وقال ابن عرفة: «اليقين اعتقاد الشيء بدليل قاطع لا تعرض له شكوك(٥)».

وقال جميل صليبا:«هو الاعتقاد الجازم المطابق الثابت، الذي لا يزول بتشكيك المشكك»(٦).

ج- تعريفه من خلال وصف اليقين بالعلم المبني على برهان(٧):

(١) تفسير الراغب (١/ ٨٤).

(٢) السراج المنير (٢/ ١٦٢).

(٣) التعريفات/ ٣٣٢.

(٤) الكليات/ ٩٧٩-٩٨٠.

(٥) تفسير ابن عرفة (١/ ٤٠٨).

(٦) المعجم الفلسفي (٢/ ٥٨٨)، وانظر كتاب التعريفات/ ٣٣٢.

(٧) الفرق بين هذه الفقرة (ج) والفقرة السابقة (ب) أن فقرة (ب) تتعلق بالاعتقاد و (ج) تتعلق بالعلم.

قال الواحدي:«اليقين: هو العلم الذي يحصل بعد استدلال ونظر لغموض المنظور فيه، أو لإشكاله على الناظر»[(١)].

وقال ابن عادل: «اليقين هو العلم بالشيء بعد أن كان صاحبه شاكا فيه، ويقال ذلك في العلم الحادث سواء أكان ذلك العلم ضرورياً أم استدلالياً» [(٢)].

د- تعريفه من خلال وصف اليقين بالإيمان الجازم:

قال ابن القيم اليقين:«الإيمان الجازم الثابت الذي لا ريب فيه، ولا تردد، ولاشك، ولا شبهة»[(٣)].

هـ- تعريفه من خلال وصف اليقين بالعلم والعمل:

قال السعدي:«اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل»[(٤)].

والتعريف الأخير أكثرها بيانا وشمولا، وهو التعريف الذي دل عليه معنى اليقين في القرآن الكريم_كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى عند الحديث عن ألفاظ اليقين _ فمن وصف بالاستيقان ولكن يقينه لم يفضِ به إلى العمل الصالح والانقياد لموجب ذلك اليقين لا يعد من أهل اليقين حسب التعريف الاصطلاحي لليقين. لأن استيقانه استيقانا نسبيا لم يفضِ إلى عمل صالح، كحال فرعون وقومه، وكحال مشركي العرب الذين أقروا بتوحيد الربوبية و لم ينفعهم هذا الإقرار ويجعلهم من أهل اليقين، لأنهم أنكروا توحيد الألوهية.

---

(١) التفسير البسيط/ الواحدي (٢/ ٧٩).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١/ ٣٠١).

(٣) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١/ ١٨).

(٤) تفسير السعدي/ ٤١.

المطلب الثاني: علاقة اليقين بالمعرفة

تستعمل المعرفة في العلم القاصر المتوصل به بتفكر. ويقال: فلان يعرف الله. ولا يقال: يعلم الله. وذلك لأن معرفة البشر لله تكون بتدبر آثاره دون إدراك ذاته [(١)].

والمعرفة إدراك أخص من العلم ويضاده الإنكار. قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل: ٨٣]، قال الطبري:«يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون نبوتك»[(٢)] ولذا فاليقين شرط لازم للانتفاع بالمعرفة، ومنهج ضابط لحسن استثمارها استثمارا صحيحا. ويدل على ذلك ما يلي:

أولا: إن منهج الرسول ﷺ في التعليم البدء بتثبيت الإيمان على الحقائق الكبرى التي فُطر الإنسان عليها، وتنقية القلب من الشك والحيرة والريب، من خلال اتباع منهج علمي دقيق مبني على يقينيات تصل بالإنسان إلى إدراك الحقيقة، فيحدث الأثر المطلوب من المعرفة بعد ذلك. وهو بناء الإنسان المخلص لخالقه، المحسن في أداء عمله. فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: **إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبدا. ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا: لا ندع الزنا أبدا. لقد نزل بمكة على محمد ﷺ**

(١) المفردات، للراغب/ ٣٣١-٣٣٢.

(٢) جامع البيان (٧/ ٦٣٠).

وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦]، **وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده**(١). **وعن ابن عمر قال: ثم لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتترل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن: ثم قال: لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه)).** ويؤكد هذا المنهج **جُنْدُب بن عبد الله** رضي الله عنه **الذي قال: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا** ﷺ **فِتْيَانًا حَزَاوِرَةً، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَنَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا، فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ**(٢).

ثانيا: إن الاختلاف الواقع عند النصارى في صلب المسيح عليه السلام ناشئ من عدم اتباع منهج اليقين في بناء المعرفة. قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]. فاليهود يعتقدون أنهم صلبوا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وهي معرفة اختلف النصارى في صحتها لأنهم اعتمدوا أسس غير علمية أو مخالفة لليقين في بناء معرفتهم؛ وهذه الأسس هي:

---

(١) صحيح البخاري/ ك(٦٩): فضائل القرآن/ ب(٦): تأليف القرآن/ ح (٤٧٠٧) .

(٢) سنن ابن ماجه/ المقدمة/ب(٩)/ح (٦١). وقال البوصيري في الزوائد: إسناد هذا الحديث صحيح رجاله ثقات.انظر مصباح الزجاجة(١/١٢).

_الشبهة.

_الشك.

_اتباع الظن.

_الاضطراب الذي حصل في شخصه «حين إمساك من أمسكوه وصلبوه»[1].

ثالثا: إن أهل اليقين هم من ينتفع بالمعرفة، فالمعرفة لا تعطي يقينا وإيمانا وإنما تعين على الازدياد فيه، لأنها تفضي إلى العمل الصالح كما أخبر تعالى عن علماء وعُبَّاد النصارى أبّان نزول القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: ٨٢- ٨٤]؛ فلأنهم أهل إيمان ويقين فاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، وسألوا ربهم أن يكونوا من أهل الشهادة لقوة يقينهم وصدقهم. قال الطبري: «أنهم يقولون: يا ربنا، صدقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد ﷺ من كتابك وأقررنا به أنه من عندك، وأنه الحق لاشك فيه»[2].

وعن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة))[3].

قال النووي: «قال صاحب التحرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة

(١) انظر التحرير والتنوير/ ابن عاشور (٦/ ٢١، ٢٣).

(٢) جامع البيان (٥/ ٨٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم الحديث (٦٤٩٧) ، ٨/١٠٤.

المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وهي عين الإيمان فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها، وجدَّ في إقامتها. والله أعلم»[(١)].

أما المعرفة إذا صادفت قلبًا جاحدًا منكرًا للحق ومستكبرًا عليه، فإنها لا تزيد الإنسان إلا ضلالاً وجهلاً وانحرافا، قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨٩].

رابعا: إن موقف الناس من المعرفة يميز أهل الإيمان واليقين، من أهل النفاق والجحود والشك كما أخبر تعالى عن موقفهم عند تغير القبلة فقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال ابن عباس: «لنميز أهل اليقين من أهل الشك والريب»[(٢)]. ولذا فإن المعرفة في بعض صورها اختبار وابتلاء قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١]. فالآية قسمت الناس من حيث موقفهم من عدد خزنة جهنم إلى ثلاثة فرق:

---

(١) شرح النووي على مسلم ٢/١٦٨.

(٢) جامع البيان للطبري (٢/ ١٦).

الفرقة الأولى: أهل الإنكار، وهم الكفار والمنافقون الذين فتنوا بعدد خزنة جهنم تسعة عشر، مما دعاهم للإمعان في العناد وتكذيب الخبر عن النار وخزنتها.

الفرقة الثانية: أهل اليقين وهم المؤمنون من أهل الكتاب الذين عندهم معرفة بعدد خزنة جهنم؛ لورود ذلك في التوراة والإنجيل، فلما جاء القرآن الكريم موافقا ما عندهم من العلم قوي علمهم فكانوا مستيقنين. قال ابن عاشور: «والاستيقان: قوة اليقين، والسين والتاء فيه للمبالغة. والاستيقان من شأنه أن يعقبه الإيمان إذا صادف عقلا بريئا من عوارض الكفر، كما وقع لعبد الله بن سلام، وقد لا يعقبه الإيمان لمكابرة أو حسد أو إشفاق من فوات جاه أو مال، كما كان شأن كثير من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦]» (١).

الفرقة الثالثة: أهل الإيمان الذين زادهم معرفة عدد الخزنة إيماناً إلى إيمانهم بالله ورسوله، قال ابن عاشور: «﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، هذه كلمة عظيمة في اختلاف تلقي العقول للحقائق وانتفاعهم بها، أو ضده بحسب اختلاف قرائحهم وفهومهم وتراكيب جبلاتهم... فانطوى التشبيه...على أحوال وصور كثيرة تظهر في الخارج (٢).

فأهل الإيمان هم أهل اليقين الذين عرفوا الحق وانتفى الريب عنهم. قال ابن عاشور: «فلا تعتورهم شبهة من بعد علمه؛ لأنه إيقان عن

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣١٨).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣١٤) مختصرا.

دليل[١].

وفي حديث **حذيفة بن اليمان** ﷺ: **قال رسول الله ﷺ ((تُعْــرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا. فَأَيُّ قَلْــبٍ أُشْــرِبَهَا نُكِتَتْ فِيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا. فلا تَضُرُّهُ فِتْنَــةٌ مَــا دَامَتِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ. والآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كالكُوزِ مُجَخِّيًــا. لا يَعْرِفُ مَعْروفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**[٢].

فاليقين حين يستقر في القلب يثبت أمام الفــتن، لوضــوح الفتنــة ومعرفة سبيل النجاة منها. أما القلب الذي يضعف عنده اليقين فســرعان ما يضعف أمام الفتنة ويقع في أوحالها، حتى تصبح المعرفة غير ظاهرة فهو ينكرها مرة ويثبتها أخرى، يتخبط في طريقه لا يميز بين المعروف والمنكر فالحق عنده نسبي لأن معيار الحق عنده ما وافق هوى الــنفس، وأشــبع مطالب الجسد.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣١٦).

(٢) صحيح مسلم، كــ١: الإيمان/ ب٦٥: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين، ح١٤٤.

المبحث الأول: دلالات اليقين في الكتاب والسنة

المطلب الأول: مرادفات اليقين في الكتاب والسنة:

اليقين في الكتاب والسنة يدل على عدد من المعاني، تعطي بمجموعها دلالات اليقين في الكتاب والسنة، ومن تلك المعاني ما يلي:

١- العلم: هناك فرق في اللغة بين العلم واليقين، إلا أن العلم في القرآن الكريم إذا أطلق فهو يقين. قال الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنفال: ٤١]: «﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ معناه تيقنوا؛ لأن العلم إذا أطلق في القرآن معناه اليقين في جميع القرآن، وقد جاء في حرف في سورة الممتحنة إطلاق العلم مرادًا به الظن الغالب، وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ﴿عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾، أي غلب على ظنكم، ظنًّا قويًّا مزاحمًا لليقين، ولا يكاد العلم في غير هذا الموضع يُطلق في القرآن إلا مرادًا به اليقين الجازم، الذي لا يخالجه ظن ولا وَهْمٌ ولا شك [(١)].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾ [الطور: ٣٦] بمعنى يشكون فليس لديهم علم تام. قال الشوكاني: «ليسوا على يقين من الأمر بل يخبطون في ظلمات الشك»[(٢)]. وقال السعدي: «ليس عندهم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية»[(٣)].

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير/ جمع خالد السبت (٥/ ١٢).
(٢) فتح القدير (٥/ ١٢١).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٨١٦).

وقال تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل: ٣] ومعنى ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يجمعون بين العلم والعمل. قال الشوكاني: «هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، وجعل الخبر مضارعا للدلالة على التجدد في كل وقت وعدم الانقطاع.»[١]. وقال السعدي: «أي قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين وهو العلم التام الواصل إلى القلب الداعي إلى العمل، ويقينهم بالآخرة يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب، وموجبات العقاب، وهذا أصل كل خير»[٢]. وقال رسول الله ﷺ: ((**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**))[٣]، **وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ**: ((**أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: ألستم تعلمُونَ أَن من أَطَاعَني فقد أطَاع الله وَأَن من طَاعَة الله طَاعَتِي؟ قَالُوا: بلَى نشْهد أَن مَنْ أَطَاعَكَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمِنْ طَاعَةِ اللَّهِ طَاعَتُكَ قَالَ: فَإِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ طَاعَتِي وَمِنْ طَاعَتِي أَنْ تُطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ، وَإِنْ صَلُّوا قعُودا فصلوا قعُودا**))[٤]. ومعنى تعلمون أني رسول الله أي توقنون، بدليل قولهم: نشهد. قال الفقهاء: الشهادة إخبار عن يقين وعيان، لا عن تخمين وحسبان[٥]. ولما كانت

(١) فتح القدير (٤/ ١٤٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٠٠).

(٣) صحيح مسلم: كـ١: الإيمان، بـ١٠ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ح٤٣.

(٤) صحيح ابن حبان، ك٥: المواقيت، ب٣٤: في الإمام يصلي جالسا، ح٣٦٤.

(٥) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤١٩).

الشهادة لا تكون إلا عن يقين نفى الله تعالى عن المنافقين شهادتهم لرسوله ﷺ بالرسالة؛ لأنها شهادة لم تؤسس على علم يقيني، وإيمان جازم، فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١]. وعن ابن الديلمي قال: لقيت أبيّ بن كعب رضي الله عنه فقلت: يا أبا المنذر، إنه قد وقع في قلبي شيء من هذا القدر، فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي -فكان مما قال له-...ولو أنفقت جبل أحد ذهبا في سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك، لدخلت النار[١]. ومعنى تعلم أي توقن، لأن ابن الديلمي كان يعاني من الشك في شأن القدر؛ ولذا سأل أبي بن كعب عما يزيل تلك الحيرة والشك، وذلك لا يكون إلا باليقين الذي يصل إليه الإنسان بعد البحث العلمي.

وفي إطلاق العلم على اليقين أمران:

الأول: أن من خصائص العلم في القرآن الكريم والسنة المطهرة أنه يقيني لا يحتمل الشك أو الريب. قال الراغب: «اليقين أبلغ علم وأوكده، وهو أن يكون عالمًا بالشيء، وعالمًا بأنك تعلمه غير شاك ولا متهيئ للشك. ولذلك قيل: هو المعلوم الذي زالت عنه المعارضة على مرور الوقت»[٢].

الثاني: أن العلم يقتضي العمل، والعالم الذي وردت الآيات

(١) مسند أحمد (٣٥/ ٤٦٥/ ح٢١٥٨٩). وقال المحققون «شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وسعيد اللحام «: إسناده قوي.

(٢) تفسير الراغب (١/ ٣٠٣).

والأحاديث في فضله هو من يعمل بعلمه، قال أبو هلال العسكري: «وحقيقة العالم هو من يصح منه فعل ما علمه متيقنا إذا كان قادرا عليه»(١).

وبهذا يترجح صحة من عرف اليقين بالعلم الجازم الذي لا يحتمل الشك الداعي للعمل. كما تقدمت الإشارة لذلك.

٢-الإيمان: وهو الإقرار والإذعان المستلزم للقبول والانقياد والعمل، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤]، قال الضحاك: يقينا مع يقينهم. وقال ابن عباس: إن الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدا ﷺ بشهادة لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدقوا بها زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الزكاة، فلما صدقوا بها زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم فقال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة لا إله إلا الله(٢)، والشهادة تعني الإقرار بما علم والإخبار بما رأى.

ودلالة الإيمان في القرآن على اليقين تثبت أمرين:

١- قوة قول من قال: إن اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

٢- قوة رأي أهل السنة في أن الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللسان،

(١) الفروق اللغوية (٧٣).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٤٨٠)، وانظر جامع البيان للطبري (١١/ ٣٣٥).

وعمل بالأركان. أو هو قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، ومعنى لا يوقنون: لم يؤمنوا بالقرآن والبعث[1]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠]، أي: آيات للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة[2]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: ٤]، ومعنى ﴿يُوقِنُونَ﴾ يؤمنون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالغيب والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان، أي ليس هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك، ويكفرون بما جاءك من ربك.[3]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠]، ومعنى ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قال الطبري: «أي آمنوا وصدقوا بالقرآن، وعملوا بما فيه» [4]؛ ولذا نفى الله تعالى الإيمان عمن لم يحدث العلم بأركان الإيمان أثرا في قلبه، فيستقر على حقائقه؛ لأن الأعمال الظاهرة لا قيمة لها ما لم تستقر المعرفة في القلب، وتحدث فيه العمل الصالح، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجُرات: ١٤]، أي «ولم يدخل العلم بشرائع الإيمان، وحقائق

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥٤٦).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٩٩).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٤٠).

(٤) انظر جامع البيان، الطبري (١٣/ ٣٤٤).

معانيه في قلوبكم»[١]. وقال الرازي: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾؛ لأن الإيمان إيقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم.»[٢]. وقال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠-١٢١]..بمعنى علموا علم اليقين أن فعل موسى ليس سحرا كما هو عملهم، إذ قامت الأدلة على ذلك، فحيَّة موسى عليه السلام لها خصائص الحياة لأنها تأكل، في حين حبالهم وعصيهم ليس عندها تلك الخاصية. ومعلوم علماً يقينيا أن لا أحد يملك تحويل الجامد إلى حي إلا الله تعالى واهب الحياة والموت، وهذا وجه صحة آية موسى عليه السلام. قال ابن كثير: «فَلَمَّا عَايَنَ السَّحَرَةُ ذَلِكَ وَشَاهَدُوهُ، وَلَهُمْ خِبْرَةٌ بِفُنُونِ السِّحْرِ وَطُرُقِهِ وَوُجُوهِهِ، عَلِمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ مُوسَى لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ وَالْحِيَلِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ لاَ مِرْيَةَ فِيهِ ولا يَقدرُ على هذا إلا الذي يقولُ للشيءِ كن فيكون، فَعند ذَلك وَقَعُوا سُجَّدًا لله، وقالوا: (آمنا برب العالمين، رب موسى وهرون) [٣].

إن الإيمان الذي يدخل صاحبه الجنة هو الاعتقاد الجازم الثابت، المستقر صاحبه على العلم والعمل به، **ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه لقي رسول الله ﷺ فقال له:** ((**اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيته من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة...**)) **الحديث**[٤]، فمستيقن: اسم فاعل دال على

(١) انظر جامع البيان، الطبري (١١/ ٤٠٠).

(٢) التفسير الكبير (١٠/ ١١٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٩٦).

(٤) صحيح مسلم، ك١: الإيمان، بـ١٠: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (ح٥٢).

الحال، أي أن حال الشخص ثابتة على فعل اليقين لا يخالط قلبه شك ولا ريب في الدين. وفي حديث آخر يرويه **أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:** ((**أشهد أن لا إله إلا وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة** [1]).

٣- الحق: الحق ضد الباطل، والحق: اليقين بعد الشك، وحَقَقْت الأمر وأَحْقَقْته إذا كنت على يقين منه. والحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه، وبلغ حقيقة الأمر أي يقين شأنه[2]، وأصل الحق المطابقة والموافقة. ويقال على أوجه منها: الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والجنة والنار حق. كما يطلق الحق كذلك على الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾أي يظهره[3]. ومعنى ﴿يَقِينٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢] أي متحقق.[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة: ٩٥]، أي محض اليقين وخالصه[5]، قال ابن جُزي: وقيل: «إن الحق واليقين بمعنى واحد، فهو إضافة الشيء إلى نفسه...واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين أو صواب الصواب، بمعنى أنه نهاية

(١) صحيح مسلم، ك١: الإيمان، بـ١٠: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (ح٤٤).
(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ١٩).
(٣) المفردات، للراغب/ ١٢٥.
(٤) أنوار التنزيل (٢/ ١٧٤).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧/ ٢٣٤).

الصواب.»[1]. وقال ابن عاشور: «وإضافة حق إلى اليقين من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي لهو اليقين الحق. وذلك أن الشيء إذا كان كاملا في نوعه وصف بأنه حق ذلك الجنس.»[2]. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١﴾ [الحاقة: ٥١]، أي العلم الثابت الذي لا يتزلزل ولا يزول. وهو أعلى مراتب العلم[3]. وقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل: ٧٩]، قال ابن القيم: «الحق هو اليقين.»[4]. وقال: «وباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهي.»[5]. وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، قال ابن كثير: «أي: كشفت لك عن اليقين الذي تمتري فيه.»[6].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حقٌ))[7]، فكلامه ﷺ حق؛ لتضمنه علم اليقين الذي لا يحتمل الشك ولا الباطل؛ إذ إنه لا ينطق عن الهوى.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكونني))[8]، ومعنى رأى الحق: أي الرؤية

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٤٢). وانظر المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٢٥٤_٢٥٥).
(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٥٠).
(٣) المصدر السابق (١/ ٨٨٤).
(٤) تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٧٢٨).
(٥) عدة الصابرين/ ٢٠٦.
(٦) المصدر السابق (٧/ ٣٧٧).
(٧) أخرجه ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٠٠).
(٨) صحيح البخاري، ك٩٥: التعبير، ب١١: من رأى النبيﷺ في المنام، ح٦٥٩٦.

الصحيحة الثابتة، لا أضغاث أحلام ولا خيالات باطلة[1]. فرؤيا رسول الله ﷺ في المنام يقين وحق؛ لأنها تطابق الواقع. **وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: ((اللهم لك الحمد -إلى قوله- أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك الحق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمدﷺ حق، والساعة حق))** [2]. ومعنى أنت الحق: المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيه[3].

٤-التصديق: الصدق هو القوة والصلابة والكمال في كل شيء؛ ولذا فإنه نقيض الكذب لأن الكذب باطل لا قوة له، ويستعمل الصدق في كل ما يحق ويحصل في الاعتقاد، نحو صدق ظني. ويستعمل في أفعال الجوارح يقال: صدق في القتال، إذا وفّى حقه وفعل ما يجب وكما يجب. وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] أي حققوا العهد بما أظهروه من أفعالهم[4]. فقوة المؤمن قوة باطنة تعود لتمام علمه ويقينه وصدق إيمانه وصلابته، إذ هي الدافعة للعمل الصالح والإحسان فيه **ففي حديث أبي هريرة ﷺقال: قال رسول اللهﷺ: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير.))**[5]، قال النووي في المراد بالقوة: «عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا

(١) عمدة القارئ، للعيني (٢٠/ ٢٠).

(٢) صحيح البخاري، ٢٥: أبواب التهجد، ب١: التهجد بالليل. . ، ح١٠٦٩.

(٣) فتح الباري (٣/ ٦).

(٤) المفردات، للراغب (٢٧٧)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٣٩)، معجم متن اللغة (٣/ ٤٣٥).

(٥) صحيح مسلم، ك٤٦: القدر، ب٨: في الأمر بالقوة والأمر بالعجز، ح٢٦٦٤.

الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد» [١]. وقال ابن القيم عن الصدق: «وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين.»[٢].فلا يكون يقينا بلا صدق، كما أن الصدق لا يصدر إلا عن يقين. فمن بلغ درجة اليقين في العلم كان صادقا في علمه؛ لانتفاء الكذب والشك عنه. ومن كان موقنا لابد أن يصدق يقينه بالعمل الموافق لما يعتقده؛ ولذا فإن أهل الجنة يعرفون بأحوالهم فمعتقدهم يصدقه فعلهم، وتوحيدهم يوجه سلوكهم؛ ولذلك يشهد لهم بالخير بعد مماتهم، **وفي حديث أنس ﷺ قال: مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرا، فقال رسول اللهﷺ:** (وجبت وجبت وجبت)، **حتى قال ﷺ: ((من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض))**[٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: ١١٨]، قال ابن كثير: «أي قد وضحنا الدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر وزيادة أخرى، لمن أيقن وصدق واتبع الرسل»[٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزُّمَر: ٣٣،] فالصدق هنا القرآن وما فيه من العلم اليقيني، والتصديق به يعني

(١) شرح مسلم (١٦/ ٢١٥).
(٢) تهذيب مدارج السالكين (٢/ ٦٢٧).
(٣) صحيح مسلم، كـ١١: الجنائز، بـ٢٠: فيمن يثنى عليه خيرًا أو شرًّا من الموتى، ح٩٤٩.
(٤) تفسير القرآن (١/ ٢٣٣).

الإيمان به إيمانا يقينيا والعمل بما فيه[1]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾ [المعارج: ٢٦]، أي يوقنون بالمعاد والحساب[2]؛ إذ إنهم حققوا ما يجب عليهم عمله وكما يجب. ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ [السجدة: ١٢]، ومعنى موقنون: مصدقون.[3]

وفي حديث سيد الاستغفار **قال** ﷺ: ((**ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**))[4]. قال ابن حجر: «(من قالها موقنا بها) أي مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها»[5]. **وعن رسول الله** ﷺ **أنه قال**: ((**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**))[6]. والريبة قلة اليقين[7]، بمعنى اتبع اليقين وهو الصدق الذي يعرف بطمأنينة النفس واستقرارها، أما الكذب فيعرف بما يجده الإنسان في نفسه من شك واضطراب وقلق وعدم استقرار. **وعن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال**: ((**سَلُوا الله المعافاةَ _ أو قال: العافية _ فلم يُؤتَ أحدٌ قطُّ بعدَ اليقين أفضلَ من العافيةِ...**))[8]، **وقال**رضي الله عنه:

---

(١) انظر جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٨٩).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٤١).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٩١).

(٤) صحيح البخاري، ك: ٨٣ الدعوات، ب: ٢ فضل الاستغفار، ح ٥٩٤٧.

(٥) فتح الباري (١١/ ١٠٢).

(٦) سنن الترمذي، ب٦٠: (٤/ ٥٧٦/ ح٢٥١٨). وقال الترمذي: حسن صحيح. ومسند أحمد (٣/ ٢٤٩). وقال المحققان «شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد»: إسناده صحيح.

(٧) المفردات، للراغب/ ٢٠٥.

(٨) مسند أحمد (١/ ٢١٠). وقال المحققان «شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد»: إسناده صحيح .

سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: ((سَلُوا الله العَفْوَ والعافيــةَ، والــيقين في الآخرة والأولى [١].

٥- **الظن:** يأتي اليقين في القرآن الكريم بمعنى الظن، كما يأتي الظن بمعنى العلم. قال مجاهد: كل ظن في القرآن يعني يقين. وقال: كل ظن في القرآن فهو علم[٢]. قال تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣]، فالظن هنا اليقين، وهو «قول جمهور المفسرين »[٣]. وذلك أن من أساليب العرب تسمية الشيء بضده، فقد تسمي اليقين ظنا، والشك ظنا، «نظير تسمية الظلمة سُدْفة، والضياء سدفة، والمغيث صارخا، والمستغيث صارخا، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده» [٤].

قال الزركشي: «الظَّنُّ أعمّ ألفاظ الشك واليقين. وهو اسم لما حصل عن أمارة، فمتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد الوهم. وأنه متى قوي استعمل فيه أنَّ المشددة وأنْ المخففة منها، ومتى ضعف استعمل معه إنْ المختصة بالمعدومين من الفعل نَحْوُ: ظَنَنْتُ أَنْ أَخْرُجَ، وَأَنْ يَخْرُجَ، فَالظَّنُّ إِذَا كَانَ بِالْمَعْنَى الأَوَّلِ مَحْمُودٌ، وَإِذَا كَانَ بِالْمَعْنَى الثَّانِي فَمَذْمُومٌ [٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: **((ما أظن فلانــا**

(١) مسند أحمد (١/ ١٨٥). وقال المحققان: إسناده حسن .

(٢) جامع البيان (١/ ٣٠١).

(٣) انظر النكت والعيون (١/ ١١٦).

(٤) جامع البيان (١/ ٣٠١).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٥٧)، وانظر: المفردات، الراغب (٣١٧).

وفلانا يعرفان من ديننا شيئا))[1]. قال العيني: «وفي التوضيح: الظن هنا بمعنى اليقين، لأنه كان يعرف المنافقين بإعلام الله لـه بهم في سورة براءة»[2].

٦- **الموت**: ويأتي اليقين بمعنى الموت قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: ٩٩] فـ﴿ٱلۡيَقِينُ﴾ الموت في قول مجاهد، وابن زيد، وقتادة، والحسن، وسفيان[3]. وقال مقاتل: عند الموت يعاين الخير والشر[4]. وفي موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه **قال رسول الله ﷺ**: **((أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي))** [5].

وبهذا نخلص إلى أن أبرز مرادفات اليقين في القرآن والسنة: العلم والإيمان، والحق والظن، والتصديق والموت. وكلها تبنى على العلم الثابت الذي لا يخالطه شك ولا ريب، المحقق بالعمل.

(١) صحيح البخاري، ك٨١: الأدب، ب٥٩: ما يجوز من الظن، ح٥٧٢٠.
(٢) عمدة القارى (١٨/ ١٨٠).
(٣) عمدة القارى (٤/ ٤٧٤).
(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٤٠).
(٥) صحيح البخاري، ك٢٩: الجنائز، ب٣: الدخول على الميت ح١١٨٦.

المطلب الثاني: صيغ اليقين في القرآن الكريم

ورد لفظ اليقين في القرآن الكريم ثمانيًا وعشرين مرة موزعة على خمس عشرة سورة، أربع مدنية (البقرة، النساء، المائدة، لقمان) (الرعد على اختلاف في مدنيتها ومكيتها)، وعشر سور مكية (النمل، والروم، السجدة، الجاثية، المدثر، الطور، الحجر، الواقعة، الحاقة، التكاثر)، أما الصيغ الاشتقاقية لـ(اليقين) فهي خمس صيغ وردت على النحو التالي:

لفظ الفعل المضارع (توقنون، يوقنون)، ورد اثنتي عشرة مرة في الآيات التالية:

ورد الفعل المضارع المخاطب (توقنون) مرة واحد عند قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢].

ورد الفعل المضارع للغائب (يوقنون) إحدى عشرة مرة عند قوله تعالى:

١ - ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤].

٢ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [البقرة: ١١٨].

٣ - ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

٤ - ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل: ٣].

٥ - ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

٦- ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم: ٦٠].

٧- ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [لقمان: ٤].

٨- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

٩- ﴿ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٤].

١٠- ﴿ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٠].

١١- ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور: ٣٦].

لفظ الفعل الدال على الطلب (استفعل) وقد ورد مرتين في الآيات التالية:

١- ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

٢- ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [المدثر: ٣١].

لفظ الاسم (اليقين) ورد ثمانِ مرات:

١- ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

٢- ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: ٢٢].

٣- ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الواقعة: ٩٥].

٤- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحاقة: ٥١].

٥- ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المدثر: ٤٧].

٦، ٧- ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التكاثر: ٥- ٧].

٨- ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧].

لفظ اسم الفاعل ورد خمس مرات بصيغة (موقنون)، ومرة بصيغة (مستيقنين):

١- ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥].

٣- ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٤].

٤- ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ [الدخان: ٧].

٥- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠].

٦- ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٣٢].

المطلب الثالث: دلالات صيغ اليقين بحسب ورودها في السور

أولا: دلالة الفعل:

أ. دلالة الفعل المضارع المخاطب (توقنون):

ورد هذا الفعل مرة واحدة في القرآن الكريم؛ في الآية الثانية من سورة الرعد. بدأت السورة بالإشارة إلى أن القرآن الكريم آيات الله المنـــزلة من عنده، وتوبيخ الكفار على عدم إيمانهم بالحق الذي لاشك فيه فقال تعالى: ﴿الٓمٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾ [الرعد: ١]، أي: «لا يصدقون بالحق المنـــزل من الله على نبيه، ولا يقرّون بالقرآن وما فيه من محكم آيه»[(١)]. ثم ساقت السورة عددًا من الأدلة الكونية لإثبات قضايا التوحيد. فبدأت بذكر دلائل قدرة الله تعالى في الخلق والتدبير، فمن شهد بها فلابد أن يشهد بقدرته على إعادة الخلق بعد الموت، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى ۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد: ٢].

و﴿تُوقِنُونَ﴾، أي قال الشيخ محيي الدين:«ليوقن المكلفون بأن رجعهم إليه»[(٢)]. والجملة في محل رفع خبر لعل، ومجيء الفعل بلفـــظ المضـــارع للدلالة على أن يقينهم بلقاء الله تعالى فعل مســـتمر معهـــم في الحـــال والاستقبال؛ وذلك يكون بزيادة العلم والعمل، أما زيادة العلم فمن خلال النظر في آيات الله الكونية، وتدبر آياته القرآنية. وزيادة العمل بالاستقامة

---

(١) جامع البيان/ الطبري (٧/ ٣٢٧).

(٢) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٥/ ٩٣).

على شرعه الذي فصله في وحيه المترل.

دلالة الفعل المضارع الغائب (يوقنون):

تقدم أن هذا الفعل ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، فهو من أكثر الصيغ ورودا، وبالنظر في مواضع الورود وكلام المفسرين لمعنى الآيات يمكن أن نقسم ﴿يُوقِنُونَ﴾ بحسب متعلقاها إلى العناصر التالية:

أولا: اليقين باليوم الآخر: من صفات المتقين أهم يوقنون باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤]، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل: ٣]، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: ٤]، وقد وردت جملة ﴿يُوقِنُونَ﴾ في محل رفع خبر، والجملة الاسمية تدل على الثبوت، أما الفعل المضارع فكما تقدم يدل على الحال والاستقبال، فيقينهم باليوم الآخر فعل دائم منهم؛ ولذا فهم لا يشكون في اليوم الآخر، ومستمرون على العمل الصالح استعدادا له.

ثانيا: اليقين وفهم القرآن: بين الله تعالى آياته خير بيان، ووصف كتابه بالبيّن فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٣٤]، وقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨] وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وتكفل ببيانه لنبيه فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩]، ومع بيان القرآن للناس إلا أنه يحتاج لنظر وتدبر وتفسير؛ حتى يتحقق للعبد العلم والعمل به كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]؛ ولذلك اختلف الناس في الاستفادة من كتاب الله بقدر

تعلمهم وتعليمهم للقرآن كما أخبر بذلك **أبو مُوسَى** ﷺ **عَنْ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ:** ((**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**)) (١).

إن أهل اليقين هم من يكون القرآن في حقهم بيانا وبصيرة وهداية؛ لذا فهم قادة الفكر والإصلاح والتربية والتعليم، الذين شبههم المصطفى ﷺ في الحديث بالأرض التي أمسكت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وقد نص القرآن في المواضع التالي على أثر اليقين في الانتفاع بالقرآن:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: ١١٨]، قال ابن جرير الطبري: «وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون، لأنهم أهل التثبت في الأمور، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة. فأخبر الله جل ثناؤه أنه بين لمن كانت هذه الصفة صفته ما بيَّن من ذلك، ليزول شكّه ويعلم حقيقة الأمر، إذ كان ذلك خبرًا من الله جل ثناؤه، وخبرُ الله الذي لا يُعذَر سامعه بالشك فيه. وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من

---

(١) صحيح البخاري، كـ٣: العلم، بـ٢٠: فضل من علم وعلم، ح٧٩.

الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب، وذلك منفي عن خبر الله عز وجل»[١]. وفعل ﴿يُوقِنُونَ﴾ دليل على أنهم دائما في نظر وتدبر لآيات القرآن، أما أهل الشك والشبه والزيغ فليس في حقهم بيانا، بل نظرهم فيه يزيدهم فتنة وضلالاً؛ لأنهم يصرفون معانيه بوجوه التأويل الفاسدة؛ بقصد تأييد ضلالهم ونشره، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد: «الزيغ: الشك. » وعن ابن جريج: «المنافقون« .

أما الراسخون في العلم: فهم الموقنون. قال الطبري: «الراسخون في العلم العلماء الذين أتقنوا علمهم ووعوه فحفظوه حفظا، لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس.

وأصل ذلك من رسوخ الشيء في الشيء، وهو ثبوته و ولوجه فيه»[٢].

وقال الراغب: «الراسخ في العلم المتحقق به الذي لا يعرضه شبهة» [٣].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٣ــ ٢٤]، فقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ عن قتادة: «قادة في

---

(١) جامع البيان (١/ ٥٦٣).

(٢) جامع البيان (٣/ ١٧٦-١٨٦، ١٨٤-١٨٥).

(٣) المفردات/ ١٩٥.

الخير »[1]. وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ قال الطبري: «وكانوا أهل يقين بما دلتهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وإيمان برسلنا، وآيات كتابنا وتتريلنا»[2]، فجملة ﴿ يُوقِنُونَ﴾ دلت على أنهم يفعلون اليقين بصفة مستمرة؛ لإدامتهم النظر في كلام الله، والتفقه في معانيه، واستنباط أحكامه والعمل بها. وقال البيضاوي: «﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾؛ لإمعانهم فيها النظر »[3].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠]، البصائر جمع بصيرة وهو إدراك العقل الأمور على حقائقها...وجعل البصائر للناس لأنه بيان للناس عامة، وجعل الهدى والرحمة لقوم يوقنون؛ لأنه لا يهتدي ببيانه إلا الموقن بحقيقته، ولا يرحم به إلا من اتبعه مؤمنًا بحقيقته. وذكر لفظ (قوم) للإيماء إلى أن الإيقان متمكن من نفوسهم، كأنه من مقومات قوميتهم التي تميزهم عن أقوام آخرين.[4]

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، ليس هناك إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. وإضافة الحكم للجاهلية؛ لأنه مبني على الجهل والظلم والبغي، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم والعدل، والقسط والهدى، ولا يعرف الفرق بين الحكمين إلا الذين يوقنون، فهم أهل النظر في الحكمين الذي يصلون للعلم التام بأن حكم الله هو الأحسن والأكمل، فيجب

(١) جامع البيان/ الطبري (١٠/ ٢٥٠).
(٢) جامع البيان (١٠/ ٢٥٠).
(٣) أنوار التنزيل (٢/ ٢٣٦).
(٤) انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥/ ٣٥٠-٣٥١).

اتباعه وتحكيمه عقلاً وشرعاً[١].

ثالثا: اليقين والنظر في آيات الله في الخلق:

إن من أعظم ما يرسخ اليقين في القلب النظر في دلائل قدرة الله تعالى في خلق الإنسان والكائنات الحية قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الجاثية: ٣ـ ٤]، قال ابن عطية: «ذكر تبارك الآيات التي في السموات والأرض مجملة غير مفصلة، فكأنها إحالة على غوامض تثيرها الفِكَر، ويخبر بكثير منها الشرع؛ فلذلك جعلها للمؤمنين» ـ إلى أن قال ـ:«ثم ذكر تعالى خلق البشر والحيوان، وكأنه أغمض مما أحال عليه أولا وأكثر تلخيصا، فجعله للموقنين الذين لهم نظر يؤديهم إلى اليقين في معتقداتهم.»[٢]. وذكر خلق الإنسان والدواب آيات للموقنين، لأن قدرة الله تعالى على الخلق الأول دليل قاطع على قدرته على الخلق الثاني، وفي ذلك تعريض بأهل الشك والضلال الذين كذبوا بالبعث، وثناء على المؤمنين الذين صدقوا به؛ ولذا أخبر عنهم بأنهم قوم يوقنون أي أن العلم باليوم الآخر والعمل له مستقر في قلوبهم، مداومون على العمل الصالح كما هو فعله ﷺ، **فعن علقمة قال: قلت: لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ يختص من الأيام شيئا؟ قالت: ((لا، كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق؟))**[٣]؛ إذ الأنبياء أشد يقينا من غيرهم ولذا هم أعظم طاعة من اتباعهم.

---

(١) انظر تفسير السعدي/ ٢٣٥.

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٧٩). مختصرًا.

(٣) صحيح البخاري، كـ٣٦: الصيام/ بـ٦٣: هل يخص شيئا من الأيام، ح١٨٨٦.

إن تأمل الخلق والتفكر في عجيب صنع الله تعالى من أعظم ما يزيد يقين القلب؛ ويدل على هذا أن خليل الله إبراهيم عليه السلام طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قال الزمخشري: «(ولكن ليطمئن قلبي): ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وأزيد للبصيرة واليقين، ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك»(١).

رابعا: نفي اليقين: ورد نفي اليقين عن الكفار في ثلاثة مواضع:

الأولى: قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]. فقوله: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ فعل مضارع دل على أن الكفار مستمرون على القيام بأعمال الشك في الحق، وعدم التمييز بين المنكر والمعروف؛ ولذلك استحقوا خروج الدابة عليهم لتميزَهم عن المؤمنين، وتبينَ لهم حقيقة حالهم.

قال ابن عطية: «فمعنى الآية وإذا أراد الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب أخرج لهم دابة من الأرض، وروي أن ذلك حين ينقطع الخير، ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، ولا يبقى منيب ولا تائب، كما أوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وأنها تمر على الناس فتسم الكافر في جبهته، وتزجره وتشتمه، وربما حطمته، وتمسح على

(١) الكشاف (١/ ٤٩٣).

وجه المؤمن فتبيضه، ويعرف بعد ذلك الإيمان والكفر من أثرها»(١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠] والإخبار عن الكفار بأنهم ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾؛ ولذلك كادوا لرسول الله ﷺ، وصدوا عن سبيل الله ﷻ.وذلك لجهلهم وخفة عقولهم، ونفاد صبرهم على الالتزام بالحق .

قال السعدي: «وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل، يسهل عليه الصبر، وكلٌّ ضعيفِ اليقينِ ضعيفُ العقل خفيفُه»(٢). وقال الطبري: «ولا يستخفن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله، الذين لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله، والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته» (٣).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾ [الطور: ٣٦]، دلت الآية على أن اليقين يستلزم الثبات على العلم والعمل؛ ولذلك نفى الله تعالى عن المشركين فعل الإيقان، قال الشيخ محيي الدين: «﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ إنهم وإن اعترفوا بأن الخالق هو الله تعالى لكنهم غير موقنين في ذلك الاعتراف؛ إذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته، وتصديق رسله، وإطاعته فيما كلفهم به، فظهر بهذا التقرير أن يُقدر لقوله: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ مفعول أي لا يوقنون بأن الخالق الرازق المحيي المميت القادر على كل شيء هو الله تعالى. ومن شك في مثل هذا المطلب

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) تفسير السعدي/ ٦٤٦.

(٣) جامع البيان (١٠/ ٢٠٠).

الجلي لا يبعد عنه أن يصف سيد المرسلين بالجنون والكهانة [1]..

وبهذا نخلص إلى إن اليقين في صيغة الفعل المضارع يدل على الأمور التالية:

١-أنه فعل متجدد لا ينقطع.

٢- أن أهل اليقين هم من عرفوا بالعلم والعمل.

٣- أنه فعل يزداد بكثرة النظر في آيات الله تعالى الكونية وتأمل أسرار خلقه.

٤- نه فعل يزداد بتدبر كلام الله تعالى، وتكرار التأمل في معانيه، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه.

ثانيا: لفظ الفعل المضارع الدال على الطلب:

ورد الفعل الدال على الطلب الذي على وزن (استفعل) في موضعين من القرآن الكريم:

الموضع الأول: في مقام إثبات يقين فرعون وقومه بصدق آيات موسى وأنها من عند الله تعالى وليست سحرًا كما يزعمون. وذلك عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٣ـــ ١٤]. فقوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾ على وزن "استفعل" وهي هنا بمعنى تَفَعَّل[2]، وتعني: الاعتقاد في الشيء أنه على صفة أصله، نحو استعظمته وتعظّمته، أي: اعتقدت فيه أنه عظيم[3].

وقال ابن عاشور: في معنى﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾«تحققتها عقولهم»[4]،

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٧/ ٧٢٩).

(٢) انظر الدر المصون/ السمين الحلبي (٨/ ٥٨٠).

(٣) شرح الشافية/ الرضي (١/ ١٠٦).

(٤) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٢).

«وعرفت قلوبهم أنها آيات الله يقينا» [١]، إذ الجحود نفي ما في القلب إثباته. فالجحود: «قلة الخير، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد أنه صحيح، وما جاء جاحد بخير قط » [٢]. وقال الراغب: «والجحود نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه » [٣].

واستيقان فرعون وقومه بأن آيات موسى عليه السلام حق وصدق يعطي دلالتين:

الأولى: إن إثبات الاستيقان لقوم فرعون لا يعني أنهم يتصفون باليقين وأنهم من أهله، لأنهم لم يأتوا بلازم ذلك الاستيقان والاعتقاد وهو الاعتراف بنبوة موسى عليه السلام واتباعه، بل قاموا بضده وهو جحد الآيات، والظلم والاستكبار على الحق.

قال ابن عطية: « هؤلاء الكفرة كانوا إذا نظروا في آيات موسى عليه السلام أعطتهم عقولهم أنها ليست تحت قدرة البشر وحصل لهم اليقين أنها من عند الله تعالى، فيغلبهم أثناء ذلك الحسد ويتمسكون بالظنون في أنه سحر وغير ذلك مما يختلج في الظن بحسب كل آية، ويلجون في عماهم فيضطرب ذلك اليقين ويدفعونه في كل حيلة من التحيل لربوبية فرعون وغير ذلك حتى يستلب ذلك اليقين أو يدوم كذلك مضطربا، وحكمه حكم المستلب في وجوب عذابهم»[٤].

الثانية: إن إثبات الاستيقان لفرعون قومه زيادة في إثبات الحجة عليهم، وتأكيد لحقيقة جهلهم وسفههم ونقص عقولهم، وإلا لو كانوا

(١) انظر محاسن التأويل/ القاسمي (٧/ ٤٨٨).

(٢) انظر مقاييس اللغة/ ابن فارس (١/ ٤٢٦).

(٣) المفردات/ ٨٨.

(٤) المحرر الوجيز (٢٥٢/٤).

أهل علم ويقين وبصيرة لسارعوا للاستجابة عندما بان لهم الحق، كما فعل سحرة فرعون عندما تيقنوا أن عصا موسى عليه السلام حيَّة حقيقية.

قال السمين الحلبي: عند إعراب قوله (واستيقنتها) :«ويجوز أن تكون حالا من فاعل (جحدوا) وهو أبلغ في الذم» (١).

الموضع الثاني: في مقام إثبات الاستيقان للمؤمنين من أهل الكتاب، وعدم ريبهم وشكهم. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدَّثر: ٣١].

قال البيضاوي: «(ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد ﷺ وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتبهم. (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) بالإيمان به وبتصديق أهل الكتاب له. (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان، ونفي لما يعرض للمتقين حيثما عراه شبهة» (٢).

قال الزمخشري: «إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك. كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر، ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم، كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر» (٣).

فاستيقان أهل الكتاب هو استيقان المؤمنين منهم الذين آمنوا برسول

---

(١) الدر المصون (٨/ ٥٨٠).

(٢) أنوار التنزيل (٢/ ٥٤٤).

(٣) الكشاف (٦/ ٢٥٩).

الله ﷺ واتبعوه كعبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن تبعه، وليس الـذين أنكـروا رسالة المصطفى عليه السلام وحاربوه.

وبهذا نخلص إلى إن الاستيقان في القرآن الكريم يدل على ما يلي:

الأول: تأكيد يقين الكفار بأن الآيات الحسية أدلة قطعية على صدق الرسل، وأنهم مبعوثون من الله تعالى. وفي ذلك ذم لهم وإثبات جهلـهم واضطراب عقولهم، لتركهم لازم اليقين من اتباع الحق والتصديق بـه إلى الإنكار والجحود والظلم.

الثاني: زيادة يقين المؤمنين من أهل الكتاب بأن القرآن الكريم مـن عند الله تعالى، وأن محمدًا رسول الله، فيتبعوه ويلتزموا بدينه. وفي ذلـك إثبات فضلهم وعظيم أجرهم. **وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب آمَنَ بِنَبِيِّـهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعبد الْمَمْلُـوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيه. وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَـا، فَأَدَّبَهَـا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَـا، فَلَـهُ أَجْرَانِ»**[1].

ثالثا: لفظ اسم الفاعل:

أولا: صيغة (موقنون): وردت في خمسة مواضع كما يلي:

الموضع الأول: قوله تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥]، قال ابن عاشور: «الموقن: هو العالم علما لا يقبل الشك، وهو الإيقان، والمراد الإيقان في معرفة الله

(١) صحيح البخاري/ ك: ٣ العلم/ باب: ٣١: تعليم الرجل أمته وأهله/ ح٩٧. وصحيح مسلم/ ك: (١) الإيمان/ باب: ٧٠ وجوب الإيمان برسالة نبينا/ ح١٥٤.

وصفاته. وقوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ أبلغ من أن يقال: وليكون موقنا كما تقدم عند قوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦]، في هذه السورة»[1]؛ إذ إن (الموقنين) شهادة له بكونه من أهل اليقين الذين عرفوا به من خلال علمهم وعملهم، أو الكاملين في يقينهم.

قال ابن عاشور عند تفسير قوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦]: «التعريف في المهتدين تعريف الجنس، فإخبار المتكلم عن نفسه بأنه من المهتدين يفيد أنه واحد من الفئة التي تعرف عند الناس بفئة المهتدين، فيفيد أنه مهتدٍ إفادة بطريقة تشبه طريقة الاستدلال، فهو من قبيل الكناية التي هي إثبات الشيء بإثبات ملزومه.

قال في الكشاف[2] عند قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الشعراء: ١٦٨]: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال، كما تقول: فلان من العلماء، فيكون أبلغ من قولك: فلان عالمٌ؛ لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرهم، ومعروفة مساهمته لهم في العلم، ويجوز أن يريد: من الكاملين في قلاكم. وقال عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٣٦]: فإن قلت: لو قيل: ﴿أَوَعَظْتَ﴾ أو لم تعظ، كان أخصر، والمعنى واحد. قلت:

ليس المعنى بواحد وبينهما فرق؛ لأن المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ»[3].

---

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٣١٦).

(٢) الزمخشري (٤/ ٤١١). التحرير والتنوير (٧/ ٢٦٣٤).

(٣) التحرير والتنوير (٧/ ٢٦٣٤). وانظر الكشاف (٤/ ٤٠٧).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾ [الشعراء: ٢٤]، الإيقان: العلم الذي يستفاد بالاستدلال، أي: إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خالق هذه الأشياء دليلا[1] على أنه رب العالمين، وهو الإله وحده لا شريك له في ذلك، الذي يجب أن يخلص له التوحيد. وقال ابن عادل: «اعلم أن فرعون لم يقل: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، إلا وقد دعاه موسى إلى طاعة رب العالمين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الشعراء: ١٦]»[2]، فالمعنى إن كانت حالكم حال أهل اليقين فأقرّوا بتوحيد العبادة كما تقرون بتوحيد الربوبية، فذلك هو حال أهل اليقين الذين أقروا بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، كما يأتي تفصيل هذا المعنى عند تفسير ابن عاشور للآية التالية في الموضع الثالث.

الموضع الثالث: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧﴾ [الدخان: ٧] وردت الآية الكريمة لتوجيه الكافرين المقرين بتوحيد الربوبية المنكرين توحيد الألوهية، أي إن كنتم مقرين بأن الله هو رب السموات والأرض وما بينهما لا شريك له في ربوبيته وخلقه، فلابد أن يترتب على هذا الإقرار أن الله لا شريك له في ألوهيته وعبوديته؛ ولذا تحدثت الآية التالية عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ٨﴾ [الدخان: ٨]: فقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ دلت على أمرين:

الأول: أن أهل اليقين هم الذين قرنوا بين العلم والعمل، وجعلوهما

---

(١) مدارك التنزيل، للنسفي (٢/ ٢٠٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ١٩).

متلازمين؛ و لم يفرقوا بين توحيد الربوبية الذي هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، وبين توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله بالعبادة، أي فعل أوامر الله واجتناب نواهيه محبة وتعظيما.

الثاني: أن اليقين منفي عن كل من أقر بتوحيد الربوبية، وأنكر توحيد الألوهية.

قال ابن عاشور: «هذا عود إلى مواجهة المشركين بالتذكير على ما ابتدأت به السورة، للاستدلال على تفرد الله بالإلهية إلزاما لهم بما يقرون به من أنه رب السموات والأرض، ويقرون بأن الأصنام لا تخلق شيئا، غير أنهم معرضون عن نتيجة الدليل ببطلان إلهية الأصنام وبذكر صفة التكوين المختصة به تعالى بإقرارهم ارتقاء في الاستدلال، فلما لم يكن مجال للريب في أنه تعالى هو الإله الحق أعقب هذا الاستدلال بجملة ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، بطريقة إثارة التيقظ لعقولهم؛ إذ نزلهم منزلة المشكوك إيقانهم؛ لعدم جريهم على موجب الإيقان لله بالخالقية حين عبدوا غيره، بأن أُتي في جانب فرض إيقانهم بطريقة الشرط، وأُوتي بحرف الشرط الذي أصله عدم الجزم بوقوع الشرط على نحو قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ [الزُّخرُف: ٥] وجواب الشرط محذوف دل عليه المقام والتقدير؛ إن كنتم موقنين فلا تعبدوا غيره؛ ولذلك أعقبه بجملة لا إله إلا هو»(١). فعبادة غير الله دليل على عدم اليقين بالله والشك فيه سبحانه وبحمده.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]، وهذا قول الكفار يوم القيامة «يقولون:

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٨٣) مختصرًا.

يا ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك، ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، ﴿فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، وذلك العمل الصالح»(١)، ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾،«أي مقرون بك وبكتابك ورسولك والجزاء»(٢)، «واسم الفاعل في قوله ﴿مُوقِنُونَ﴾ واقع زمان الحال كما هو أصله» (٣).

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات: ٢٠]، إن الآيات المشاهدة من أحوال الأرض صالحة للدلالة على تفرده سبحانه بالإلهية؛ وخصت الآيات بالموقنين لأنهم الذين انتفعوا بدلالتها، فأكسبتهم الإيقان بالبعث، وآثر وصف الموقنين دون الذين أيقنوا لإفادة أنهم عرفوا بالإيقان، وهذا الوصف يقتضي مدحهم بثقوب الفهم، ومدحهم بالإنصاف وترك المكابرة(٤)، وأنهم من جمعوا بين زوال الشك وقوة اليقين في إفراد الله بتوحيد الربوبية والألوهية، فاستقر في قلوبهم العلم والعمل، فتوحيد الربوبية إفراد الله بأفعاله وهو العلم الذي فطر الله الناس عليه، فهو مستقر في نفوسهم، ويلزم الإقرار به الإقرار بتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بأفعال العباد.

ثانيا: صيغة (مستيقنين) ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجاثية: ٣٢]: أي أن اعتقادهم في الساعة ﴿ظَنّٗا﴾ وأما وصوله لدرجة العمل فلا ﴿وَمَا نَحۡنُ﴾

(١) جامع البيان، للطبري (١٠/ ٢٣٦).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٤٠).

(٣) التحرير التنوير (٢١/ ٢٢٢).

(٤) انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٣٥٢).

وأكدوا النفي فقالوا ﴿بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أي: بموجود عندنا اليقين في أمرها(1)، فنفوا عن أنفسهم العمل الصالح، فرد تعالى عليهم بقوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الجاثية: ٣٣]، قال السعدي: «أي ظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم» (2).

وعلى ما تقدم يتحصل لدينا أن الموقنين هم من كانت حالهم حال يقين، أي مستقرين على العلم بمراد الله، والعمل بأوامره واجتناب نواهيه.

رابعا: لفظ الاسم (اليقين) ورد ثمانيَ مرات في المواضع التالية:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧]، أي إنهم قتلوا من قتلوا على شك منهم واختلاف، هل هو عيسى أم غيره؟ من غير أن يكون لهم بمن قتلوه علم» (3).

الموضع الثاني والثالث: قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: ٩٩]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدَّثر: ٤٧]، اليقين في الموضعين يعني الموت؛ لأنه موقن به» (4).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢]، أي بخبر صادق» (5).

الموضع الخامس والسادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة: ٩٥]، ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ [الحاقة: ٥١]، قال ابن عاشور:

(1) السراج المنير، للشربيني (٣/ ٧١٢).

(2) تيسير الكريم الرحمن/ ٧٧٨.

(3) جامع البيان، للطبري (٤/ ٣٥٥).

(4) جامع البيان، للطبري (٧/ ٥٥٤).

(5) زاد المسير (٦/ ١٦٥).

«والحق: الثابت، واليقين: المعلوم جزما الذي لا يقبل التشكيك، وإضافة ﴿حَقُّ﴾ إلى ﴿ٱلْيَقِينِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي لهو اليقين الحق، وذلك أن الشيء إذا كان كاملا في نوعه وصف بأنه حق ذلك الجنس...فالمعنى: أن الذي قصصنا عليك في هذه السورة هو اليقين حق اليقين، كما يقال: زيد عالم حق عالم. ومآل هذا الوصف إلى توكيد اليقين؛ لذلك فسروه: إن هذا يقين اليقين وصواب الصواب» [(١)].

السابع والثامن: قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٥ــ ٧]، قال ابن القيم:«علم اليقين هو العلم الذي يصل به صاحبه إلى حد الضروريات التي لا يشك ولا يماري في صحتها وثبوته.

ولو وصلت حقيقة هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه عن موجبه وترتب أثره عليه، فإن مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عواقبه، قد لا يكفي في تركه، فإذا صار علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشد، فإذا صار عين يقين كجملة المشاهدات كان تخلف موجبه عنه أندر شيء»[(٢)].

قال ابن تَيْمِيَّة: «﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر، و﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ ما شاهده وعاينه بالبصر، و(حق اليقين) ما باشره ووجده، وذاقه وعرفه بالاعتبار»[(٣)]. **وعن النبي ﷺ قال: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما**

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٥٠) مختصرًا.
(٢) عدة الصابرين / ٤١٦.
(٣) الفتاوى (١٠/ ٦٤٥).

يكره أن يقذف في النار))[1]، فحلاوة الإيمان تعني أن الإنسان بلغ درجة حق اليقين فاستقر العلم والعمل في قلبه فوجد تلك الحلاوة وجودا حقيقيًا.

ومما سبق نستطيع أن نسجل الملاحظات التالية التي نخلص من خلالها إلى معنى اليقين في القرآن الكريم:

١- إن (اليقين) ورد في أغلب موارده بصيغة الفعل المضارع الدال على استمرار حدوث الفعل، مما يدل على إنَّ اليقين فعل يُمارس بصفة مستمرة دون انقطاع.

٢- إن فعل اليقين واسم الفاعل جاء في أغلب أحواله في محل رفع خبر مما يدل على ثبات هذه الحال لمن نسبت إليه.

٣- في كثير من المواضع جاء (اليقين) في لفظ الفعل مضافا إلى (قوم) للدلالة على أن أهل اليقين فئة من الناس عُرف يقينهم من خلال علمهم وعملهم، حتى أصبحوا فئة مميزة بين الناس.

٤- إن ألفاظ اليقين التي جاءت بصيغة الاسم جاءت إما للدلالة على صدق الشيء، وإثبات حقيقة وقوعه إثباتا لا يقع فيه الاختلاف أو الشك. وإما لبيان إن اليقين إذا استقر في القلب فإنه يمنع صاحبه مما يصرفه عن الاستعداد لليوم الآخر من أمور الدنيا.

٥- إن المشركين عندهم اعتقاد بصدق أدلة الأنبياء الحسية على نبوتهم، ولكنهم ليسوا من أهل اليقين، لأن استيقانهم زيادة حجة عليهم، وإثبات لجهلهم، وخلل عقولهم، إذ الموقن من رسخ علمه وعمل بما علم.

---

(١) صحيح البخاري، ك٢: الإيمان، ب٨: حلاوة الإيمان، ح١٦.

٦- إن نفي الاستيقان عن المشركين جاء مقابل إثبات الشك لهم.
٧- تنوع مواضع ورود اليقين بين السور المكية والمدنية، كما تنــوع في دلالاته حسب السياق، مما يدل على أهمية اليقين في القرآن الكريم. إنه كما يتعلق بالاعتقاد والتصور والإدراك، يتعلق أيضا بالعمل والحكــم بين الناس.

وبناء على ما تقدم يمكن أن نستنتج أن اليقين في القرآن الكريم يعــني العلم التام الذي ليس فيه شك، الموجب للعمل المستمر دون انقطــاع أو تردد.

وهذا المعنى يعطي دلالة على سعة هذا المفهوم في القرآن الكريم، وإن له خصائص قرآنية تميزه عن معناها اللغوي.

المبحث الثاني: منـــزلة اليقين في الكتاب والسنة

اليقين في القرآن صفة من صفات الوحي، وعلامة مـــن علامـــات عظمته قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، قال الرازي: «عاد إلى تعظيم حال القرآن وجلال درجته فقـــال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾، والمعنى أنه ما أردنا بإنزاله إلا تقرير الحق والصدق، وكما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع هذا المعنى وحصل»(١). وقال ابن عاشور: «وصـــف القرآن بصفتين عظيمتين كل واحدة منهما تحتوي على ثناء عظيم، وتنبيه للتدبر فيهما.

وقد ذكر فعل النـــزول مرتين، وذكر له في كل مرة متعلق متماثـــل اللفظ لكنه مختلف المعنى، فعلق إنزال الله إياه بأنه بالحق فكان معنى الحـــق الثابت الذي لا ريب فيه ولا كذب، فهو كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ...وعلق نزول القرآن، أي بلوغه للناس بأنـــه بـــالحق فكان معنى الحق الثاني مقابلَ الباطل، أي مشتملا على الحق الذي به قوام صلاح الناس»(٢)، ومادام نزول القرآن متعلقا باليقين فـــإن مكانتـــه في القرآن والسنة مكانة عظيمة، ويمكن إبراز بعض صورها في المطالب التالية:

(١) التفسير الكبير (٧/ ٤١٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٢٩) مختصرا.

المطلب الأول: اليقين مقصد من مقاصد نزول الوحي

أرسل الله رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه القرآن العظيم؛ وذلك من أجل هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والشك والضلال إلى نور العلم واليقين والإيمان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢] وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]؛ وحيث إن العلم في القرآن هو اليقين إذ ما من معرفة في القرآن إلا هي معرفة يقينية، كان تحقيق اليقين مقصدًا من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة. قال تعالى: ﴿هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠]، قال الطبري: «وخص جل ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة، لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عمى وله حزنًا»[1]. وعن ابن مسعود قال: ((اليقين الإيمان كله))[2]، قال ابن حجر: «مراد ابن مسعود أن اليقين هو أصل الإيمان، فإذا أيقن القلب انبعثت الجوارح كلها للقاء الله بالأعمال الصالحة، حتى قال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقا إلى الجنة

---

(١) جامع البيان (١١/ ٢٥٩).

(٢) صحيح البخاري، ك: الإيمان، باب١ الإيمان وقول النبي عليه الصلاة والسلام: بني الإسلام على خمس.

وهربا من النار»[1]. أما من ضعف يقينه فوقع في الشك والنفاق فلن يكون القرآن له هدى ورحمة، **فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيﷺ قال: ((يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيَهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فُوقِهِ))**[2]؛ ولذا فإن اليقين شرط من شروط لا إله إلا الله قال حافظ الحكمي في منظومته وهو يبين شروط لا إله إلا الله:

«وبشروط سبعة قــد قيــدَتْ ❊❊ وفي نصوص الوحي حقًّا وردَتْ

فإنــــه لم ينتفـــع قائلُهـــا ❊❊ بالنطق إلا حيــث يســتكملُها

العلـــم والـــيقين والقبـــولُ ❊❊ والانقياد فادر ما أقــولُ» [3]

(١) فتح الباري (١/ ٦٣).

(٢) صحيح البخاري، كـ١٠٠: التوحيد، ب٥٧: قراءة الفاجر والمنافق وأصواقم وتلاوقم لا يتجاوز حناجرهم ح٧١٢٣.

(٣) معارج القبول، لحافظ الحكمي (١/ ٣٢).

المطلب الثاني: اليقين غاية المعرفة وقيمتها

«إن المعرفة في القرآن الكريم تتعلق بإثبات الحقائق الوجودية، فهي تتعلق بإثبات الحقائق والأشياء والتعامل معها، وعليه فإنها تتوقف على الوجود ولا يتوقف الوجود عليها»(١)، **فعن عمران بن حصين ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**(٢).

ومهمة الإنسان البحث عن المعرفة اليقينية والسعي للوصول إليها، مستعينا في ذلك بالله تعالى واهب اليقين والمعرفة، كما هو منهج الأنبياء عليهم السلام الذين بلَغوا كمال اليقين، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾، قال ابن زيد: أو لم توقن، وقوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: «ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه»(٣)، فبدون اليقين تهتز المعرفة؛ لأن اليقين هو القاعدة التي يُعتمد عليها لترسيخ المعرفة في النفس، ومن ثمَّ تظهر آثارها في السلوك.

إن أعظم موجود هو الله تعالى، وهو خالق الوجود وربه، وتلك حقيقة كامنة في النفس. واليقين بهذه الحقيقة يقتضي التسليم بها والاستسلام لله بالعبادة. وبذلك يسلم الإنسان من التخبط في ظلمات الجهل والشك والريب الذي هو حال أهل الشك المنهجي، قال تعالى:

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، د. راجح الكردي/ ١٥٧ وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري، كـ١٠٠: التوحيد، ب٢٢: (وكان عرشه على الماء)، ح٦٩٨٢.

(٣) جامع البيان (٣/ ٥٢، ٥٣).

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥]، و﴿ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ أي العالمين بالشيء علما لا يمكن أن يطرأ له فيه شك(١)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ [الدخان: ٧]، قال ابن تَيْمِيَّة: «ولم يقل: موقنين بكذا، بل أطلق، فأي يقين كان لكم بشيء فأول اليقين اليقين بهذا الرب، كما قالت الرسل لقومهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾. وإن قلتم: لا يقين لنا بشيء من الأشياء، بل سلبنا كل علم، فهذه دعوى السفسطة العامة، ومدعيها كاذب ظاهر الكذب، فإن العلوم من لوازم كل إنسان، فكل إنسان عاقل لابد له من علم»(٢). وهذه النظرة تنعكس في الشك المنهجي؛ لأن هذا الشك يقتضي طرح جميع الأفكار المتعلقة بالوجود، حتى ولو كانت إيمانا بوجود حقيقي للأشياء، ثم تمحيص أدوات المعرفة وبحث مدى قدرتها على معرفة الأشياء والوقوف على معرفة بديهية يثبت بعدها التسليم بوجود الأشياء والحقائق، وأن هذا الباب من الشك مهما ادعى صاحبه بأن هناك أدلةً يمكن أن يعتمدها بيقين في إيمانه أو اعترافه بوجود الأشياء، فإنه لا يمكن بحكم تكوينه البشري أن يحكم على أن هناك وسيلةً موثوقا بها تماما، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ ولذلك فإن ديكارت(٣)

---

(١) انظر المحرر الوجيز، لابن عطية (٢/ ٢١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٣٥).

(٣) رينيه ديكارت (٣١ مارس ١٥٩٦ – ١١ فبراير ١٦٥٠)، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ «أبو الفلسفة الحديثة »، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصا كتاب) تأملات في الفلسفة الأولى- ١٦٤١ م) الذي ما زال يشكل النص القياسي =

يشعر بإمكانية تشكيك الشيطان المخادع له حتى في الحقيقة الواضحة المتميزة، ولم ينج من هذا الخداع إلا بالاعتراف بالوجود قبل معرفة الحقيقة المميزة، وهو وجود الله الذي يقتضي هذه الضمانة، التي استند إليها في الله وهو صادق، وليس عنده خداع، حتى يسلم حقيقته الواضحة المتميزة [١].

=

لمعظم كليات الفلسفة. كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فقد اخترع نظاما رياضيا سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية)، الذي شكل النواة الأولى لـ (الهندسة التحليلية)، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية. وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن١٧ م، وهو صاحب المقولة الشهيرة: «أنا أفكر، إذن أنا موجود » . المصدر: http:/ / ar. wikipedia. org/ wiki/

(١) انظر نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للكردي/ ١٥٨.

المطلب الثالث: اليقين وسيلة ثبات رسول الله ﷺ على أنه رسول الله يوحى إليه

كان لرسول الله ﷺ علامات على نبوته قبل مبعثه وقبل نزول الوحي، ومع ذلك فعندما حان موعد نزول القرآن وتكليفه بالرسالة، جاء الوحي خاصا للرسول ﷺ بصورة متدرجة لترسيخ العلم لديه ﷺأنه نبي الله ورسوله المصطفى يقينا، وأن ما يأتيه وحي من الله حقًّا لا يحتمل الشك فيه أو في نفسه، أو الظن بأنه من قبيل الوسوسة والتخيل وتلبس الشياطين.

ففي المرحلة الأولى كانت الرؤيا الصادقة اليقينية، إذ كان يرى الرؤيا في المنام ثم يراها حقيقة واقعة خلال يومه ﷺ؛ إذ إن رؤيا الأنبياء حق، ثم مرحلة نزول الحق عليه في الغار حين رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، فضمه وأرسله وأعاد له (اقرأ) ثلاثا، ورسول الله يرد بـ((ما أنا بقارئ))، وهذا أقوى سبل تثبيت رسول الله ﷺ وتأكيد أن الوحي حقيقة يقينية، وأنه رسول الله ﷺ حقاً [1].

قال ابن حجر: عند شرح قوله: (فغطني) «وقيل: الحكمة فيه أن التخيل والوهم والوسوسة ليست من صفات الجسم، فلما وقع ذلك لجسمه علم أنه من أمر الله»[2]، وهذا اليقين في حقه بشكل خاص، ثم يقين في حق المؤمنين بعد ذلك أنه رسول الله حقاً.

قال ابن حجر: «فقال لها -أي قال رسول الله ﷺ لخديجة رضي الله عنها-: ((أرأيتك الذي كنت رأيت في المنام فإنه جبريل استعلن لي بأن

(١) انظر المعرفة بين القرآن والفلسفة، للكردي/ ١٨٤.

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٥٨٩).

ربي أرسله إلي))، وأخبرها بما جاء به، فقالت: أبشر، فو الله لا يفعل الله بك إلا خيرا، فاقبل الذي جاءك من الله فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقًّا. قلت: فهذا أصرح ما ورد في أنها أول الآدميين آمن برسول الله»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، -وهو التعبد- الليالِيَ ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال النبي ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، حتى بلغ ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ٥]، فرجع بها ترجف بوادره - إلى قولها رضي الله عنها-: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ، فيما بلغنا، حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقًّا. فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك))[٢]. وفي ذلك ما يدل على أهمية اليقين في تثبيت رسول الله ﷺ على حقيقة أنه الرسول المبعوث بالوحي.

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٧٥).

(٢) صحيح البخاري، كـ٩٥: التعبير، ب١: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ح٦٥٨١.

المطلب الرابع: اليقين المعرفي قاعدة الانطلاق للعمل والدعوة لله ﷻ

إن علة نزول القرآن وإرسال الرسول محمد ﷺ إخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ من خلال العلم وبناء المعرفة الصحيحة، ونقض المعارف الباطلة والمفاهيم الزائفة القائمة على الخرافة والكذب والدجل. ولذا كانت معجزة رسول الله ﷺ الباقية هي القرآن الكريم. وقد كان خطابه من بدايته منطلقا لبناء اليقين المعرفي، فبدأ أولا: مَنْ هذا الإنسان؟ ومَنْ ربه؟ وما علاقة الإنسان بربه؟ وما علاقته بنفسه وبما يحيط به؟ وهذه مهمة معرفية يجليها القرآن لأول نزوله على قلب رسول الله ﷺ ؛ إذ يطلب منه أن يقرأ، والقراءة طريق العلم والمعرفة أي يعلمه حقائق واضحة وهي:

أولا: لا بد أن يقرأ ويتعلم فهما طريق المعرفة اليقينية، كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

ثانيا: لا بد أن يقرأ أو يعلم يقينا أن الذي يعطيه العلم قوة فوق قوته وهو خالقه سبحانه، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

ثالثا: أن يعلم علم اليقين اسم ربه الذي خلق، فالله خالق والإنسان مخلوق.

رابعا: أن الخالق أكرم الإنسان بعد خلقه بأن علمه، فالخلق رباني والعلم رباني، وكما أن الخلق يقيني فالعلم يقيني كذلك، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ

﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: ٥] [(١)].

هذا المنطلق اليقيني في خطاب رسول الله ﷺ بداية نزول الوحي قبل الأمر بالدعوة والأمر بسائر التكاليف؛ يؤكد على أن اليقين هو أول ماينبغي أن يرسخ في النفس ثم تأتي مرحلة البحث عن المعرفة -التي أعظمها معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دينه بالأدلة- بمختلف الوسائل المتاحة وفق ما أخبر الله تعالى، وبيَّنته السنة حتى يستقر العلم والعمل في القلب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]. فمتى استقر اليقين في القلب، وظهرت آثار المعرفة والعلم في الجوارح والسلوك، تأتي مرحلة نشر العلم والدعوة والتبليغ على بصيرة. كما جاءت الإشارة إلى ذلك في سورة العصر. وكما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للكردي/ ١٨٣.

المطلب الخامس: اليقين من حِكَم حادثة الإسراء والمعراج

لاشك أن حادثة الإسراء والمعراج من أعظم وأشرف الحوادث على الإطلاق، وفي حياة رسول الله ﷺ خاصة؛ وقد كان من حكمها تثبيته ﷺوتأييده بالمعجزات؛ ليزداد يقينا وصبرا على تكاليف الرسالة، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:]، قال ابن عاشور: « ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ تعليل الإسراء بإرادة إراءة الآيات الربانية، تعليل بعض الحكم التي لأجلها منح الله نبيه منحة الإسراء، فإن للإسراء حكما جمة وأهمها وأجمعها إراءته من آيات الله تعالى ودلائل قدرته ورحمته» ــإلى أن قالــ: «و (لام) التعليل لا تفيد حصر الغرض من متعلقها في مدخولها؛ وإنما اقتصر في التعليل على إراءة الآيات لأن تلك العلة أعلق بتكريم المسري به والعناية بشأنه؛ لأن إراءة الآيات تزيد يقين الرائي بوجودها الحاصل من قبل الرؤية، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[الأنعام: ٧٥]، فإن فطرة الله جعلت إدراك المحسوسات أثبت من إدراك المدلولات البرهانية.

واعلم أن تقوية يقين الأنبياء من الحكم الإلهية؛ لأنهم بمقدار قوة اليقين يزيدون ارتقاء على درجة مستوى البشر، والتحاقا بعلوم عالم الحقائق»[1].

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٠-٢١). وانظر السراج المنير، للخطيب الشربيني (٢/ ٣٠٧).

المطلب السادس: باليقين نالت هذه الأمة شرف الشهادة على الأمم يوم القيامة

فضل الله هذه الأمة على الأمم وخصها بالشهادة على الناس يوم القيامة؛ لاختصاصها بعلم اليقين، الذي به ستشهد على الأمم أن الأنبياء بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، عندما ينكرها أقوامهم يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الشنقيطي: «وقد قدمنا أن الأمم الكافرة إذا سُئل الرسلُ وقالوا: (قد بلغناهم) ينكر الأمم ويقولون: ما بلغونا ولا شيئًا، ولو بلغونا لأطعنا ربنا!! فيقول الرسل: والله لقد بلغناهم أكمل تبليغ وأتمه، فيقول الله للرسل- هو يسأل الجميع، وهو أعلم- ليُظهر براءة الرسل ونزاهتهم وأمانتهم، ويُظهر خيانة الكفرة وعنادهم وكفرهم، فيكون فضلاً لهؤلاء ونكالاً لهؤلاء، فإذا أنكر الكفار أن الرسل بلغوهم، وقيل للرسل: هل عندكم من شهداء؟ فيقولون: نعم، أمة محمد ﷺ تشهد لنا، فيُدعى بنا - معاشر هذه الأمة الكريمة- فنشهد في ذلك الموقف العظيم للرسل الكرام بأنهم بلغوا ونصحوا وتحمَّلُوا الأذى، وبلغوا الدعوة على أكمل وجوه التبليغ، مع تحمّل الأذى على أكمل الوجوه، وأن الأمم الكافرة هي التي آذتهم وأهانتهم وطغت وتجَبَّرَتْ وتَكَبَّرَت عن قبول رسالات ربها، فيقول الأمم: يا ربنا كيف تقبل علينا شهادة أمة محمد وهم وقت إرسال الرسل إلينا لم يبرزوا للوجود، فهم في ذلك الوقت معدومون؛ لأنهم آخر الأمم، وكيف يشهدون على شيء وقع قبل أن يكونوا في الوجود؟! فنُسأل عن ذلك، فنقول: نعم، نحن في ذلك الوقت كنا معدومين، ولكنا بعد وجودنا

حصل لنا اليقين الجازم، ومدار الشهادة على اليقين الجازم، فما شهدنا إلا بيقين جازم لا تختلجه الشكوك ولا الأوهام؛ لأنك يا ربنا أرسلت إلينا رسولاً كريمًا هو خير الرسل وأصدقهم وأعظمهم أمانة، وأنزلت عليه كتابًا محفوظًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فما جاءنا في ذلك الكتاب، وأخبرنا به ذلك النبي الكريم، فنحن نقطع به ونجزم به أشد قطعٍ وجزمٍ مما عايناه بأعْيُنِنَا وسمعناه بآذاننا، وهؤلاء قد قصصت علينا أخبارهم في آياتك المحكَمات قصصًا لا يختلجه شك، فهو قطع مجزوم به، ... » [1].

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير/ جمع د. خالد السبت (٣/ ٥٨ـ ٥٩).

المطلب السابع: اليقين هو الدافع للعمل وهو علة قبوله وتعظيم أجره

إن الغاية من المعرفة في الإسلام العمل بها، والوصول من خلال تطبيقها إلى أعلى درجات التعبد لله تعالى في مختلف صور العبادة، ولا تتحقق تلك الغاية المعرفية إلا من خلال اليقين بها؛ وبدون اليقين لن يكون للمعرفة أثر فاعل في النفس؛ ولهذا فإن اليقين هو الذي يميز بين المؤمن والمنافق، **قال ﷺ في خطبته يوم خسفت الشمس**: ((**ما من شيء لم أره إلا وقد أريته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، وأوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال، فأما المؤمن أو المسلم -شك الراوي- فيقول: محمد جاءنا بالبينات فأجبناه وآمنا، فيقال: نم صالحا علمنا أنك موقن، وأما المنافق أو المرتاب -شك الراوي- فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته**))[1]. وقال الحسن البصري يقول: «ما طلبت الجنة إلا بيقين، ولا هرب من النار إلا باليقين، ولا أديت الفرائض إلا بيقين، ولا صبر على الحق إلا بيقين»[2]، ولهذا فإن كلمة التوحيد لا تنفع صاحبها إلا إذا قالها موقنا بها غير شاك، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨- ٨٩]، قال مجاهد: «سليم من الشك، وقيل: صحيح وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب المنافق والكافر مريض»[3]، قال ابن تَيْمِيَّة: «والحسنة الواحدة قد يقترن بها من الصدق واليقين ما يجعلها تكفر الكبائر، كالحديث الذي في صاحب البطاقة الذي ينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر، ويؤتى ببطاقة

---

(١) صحيح البخاري، كـ٩٩: الاعتصام بالكتاب والسنة، بـ٢: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح٦٨٥٧.

(٢) فتح الباري، لابن رجب (١/ ١٤).

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (٦/ ١٣٠).

فيها كلمة لا إله إلا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات، وذلك لعظم ما في قلبه من الإيمان واليقين، وإلا فلو كان كل من نطق الكلمة تكفر خطاياه لم يدخل النار من أهل الكبائر المؤمنين بل والمنافقين أحد، وهذا خلاف ما تواترت به الآيات والسنن، وكذا حديث البغي، وإلا فليس كل من سقى كلبا عطشانَ يغفر له»[1].

(١) مختصر الفتاوى المصرية، لابن تيمية (٢/ ٤٠).

المبحث الثالث: منهج الكتاب والسنة في بناء اليقين:

للقرآن الكريم والسنة المطهرة منهج معجز في بناء اليقين وتعميقه في النفس، ومن ذلك ما يلي:

المطلب الأول: التدرج في النزول:

تقدم معنا أن اليقين ثلاث درجات: علم اليقين، تليها درجة عين اليقين، ثم حق اليقين، مما يدل على أن المرء يحتاج لتدرجٍ في العلم حتى يرتقي في درجات اليقين.

ولهذا فإن القرآن الكريم لم ينزل كبقية الكتب جملة واحدة؛ لأن الغرض ليس فقط تبليغ العلم، ولكن المقصد تثبيته في القلب، والعمل به، وهذا ما لم تدركه العقلية الجاهلة عند نزول القرآن، فكان نزول القرآن منجما مثيرًا للشك والحيرة لديهم؛ لكمال جهلهم وقلة عقولهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]، فالغاية من تفريق نزول القرآن الارتقاء بالعبد في منازل اليقين الذي به يزداد ثباته ورسوخه في تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، قال ابن عاشور: «التثبت: جعل الشيء ثابتا، والثبات: استقرار الشيء بمكانه غير متزلزل، قال تعالى: ﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ويستعار الثبات لليقين وللاطمئنان بحصول الخير لصاحبه، قال تعالى: ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦]، وتثبيته بذلك الإنزال جعله ثابتا في ألفاظه ومعانيه لا يضطرب فيه»[1]. لحصول اليقين في القلب. وقال ابن باديس:

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ١٩). مختصراً

«فكان كل نجم ينــزل من القرآن العظيم- والنجم القسم الذي ينــزل معًا آية أو آيتين أو أكثر- يزداد به عجزهم وعنادهم ظهورًا، وتزداد حجة النبيﷺ وصدقه وضوحًا؛ فيزداد بذلك سكون قلبه وطمأنينته بظهور أمره على عدوه، وعلو كلمة الحق على كلمة الباطل؛ وفي ذلك تقوية له، وأي تقوية! لا عن شك كان في قلبه أو تردد، ولكن البراهين المتوالية، والحجج المتتالية، تزيد في سكون القلب واطمئنانه، وإن كان معقودا من أول أمره على اليقين.

وقد كان كل نجم من نجوم القرآن ينــزل بشيء من العلم والعرفان، فيقوى قلبه عند نزول كل نجم بما يكتسبه منه من معرفة وعلم»(١).

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (١/ ١٨٠). مختصرًا.

المطلب الثاني: الوضوح والبيان عند عرض المسائل والبعد عن التعقيد والغموض

اعتمد القرآن الكريم منهج البيان والوضوح والتفصيل لبيان الحق قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥]، قال ابن عاشور: «التفصيل التبيين والتوضيح، مشتق من الفصل، وهو تفرّق الشيء عن الشيء. ولما كانت الأشياء المختلطة إذا فصلت يتبين بعضها من بعض أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع ذلك حتى صار حقيقة، ومن هذا القبيل أيضا تسمية الإيضاح تبيينا وإبانة، فإن أصل الإبانة القطع. والمراد بالتفصيل الإيضاح، أي الإتيان بالآيات الواضحة الدالة على المقصود منها.

والآيات آيات القرآن. والمعنى نفصل الآيات ونبينها تفصيلا مثل هذا التفصيل الذي لا فوقه تفصيل، وهو تفصيل يحصل به علم المراد منها بيّنا»(1)، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: ١١٨]، قال الطبري: «وخص الله ذلك بالقوم الذين يوقنون؛ لأنهم أهل التثبت في الأمور، والطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة»(2).

قال الشيخ محيي الدين: «وذلك أنه تعالى وصف الآيات بكونها مبينة

(1) التحرير والتنوير (٧/ ٢٦٠).

(2) جامع البيان/ (٢/ ٥٥٧).

واضحة الدلائل لمن يطلب اليقين التام، أو لمن يستعد له، وذلك ينافي خفاءها وينافي أيضا احتياجهم إلى اقتراح آيات زائدة عليها لطلب مزيد يقين؛ لأنه تعالى أظهر، وبين من الدلائل والآيات ما فيه كفاية لحصول اليقين التام الكامل.»[1]. وقد كان رسول الله ﷺ يبين ويفسر القرآن الكريم بأنواع البيان، كما كان القرآن ينزل لبيان **ما يشكل عليهم أو يبين لهم الحق في أحوالهم وعباداتهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كانت قريش ومن دان دينها يقفون بمزدلفة، وكانوا يسمون الحُمْس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام، أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى:** ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ **[البقرة: ١٩٩]))**[2]، وعن كعب بن عجرة أنه قال: ((**حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستين مسكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك، فنزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة**))[3]. وكان عليه الصلاة والسلام يُعنى ببيان ما قد يشكل على الناس في أي أمر من أمورهم، حتى تكون الحقائق واضحة لديهم، ويزول الشك والوهم عن عقولهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((**إن النبي ﷺ خرج علينا حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فلما سلم قام على المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا**

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي/ (٢/ ٢٦١).

(٢) صحيح البخاري، كـ٦٨: التفسير، بـ٣٧: (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)، ح٤٢٤٨.

(٣) صحيح البخاري، كـ٦٨: التفسير، بـ٣٤: (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه)، ح٤٢٤٥.

عظاما، ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا...قال أنسﷺ: فأكثر الناس البكاء، وأكثر رسول اللهﷺ أن يقول: سلوني))[1]. فالشك والاضطراب لا يوجد إلا في بيئة جاهلة، وداخل عقول لا تجد من يجيب على تساؤلاتها، ويبين لها الحق بيانا لا لبس فيه أو تناقض وغموض.

(١) صحيح البخاري، ك٩٩: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: ٣ ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه/ ح٦٨٦٤.

المطلب الثالث: التحدي والإعجاز

من منهج القرآن الكريم لترسيخ اليقين بأنه منزل من عند الله تعالى وعلى رسوله ﷺ؛ تحدى جميع الثقلين أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] فثبات عجزهم دليل على يقينية القرآن، وأنه منزل من عند الله تعالى[١].

ولذلك فإن الكفار كانوا موقنين بصدق رسول الله ﷺ، وبأن القرآن منزل من عند الله تعالى. وكذلك سائر الأقوام مع رسلهم كانوا يعلمون أنهم رسل الله حقا، لكنهم كفروا بهم علوٍّ وعناد ومكابرة. قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]، قال الطبري: «وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله ﷺ، ويدفعونه عما كان الله تعالى ذكره خصه به من النبوة، فكان بعضهم يقول: (هو شاعر) ، وبعضهم يقول: (هو كاهن)، وبعضهم يقول هو: (هو مجنون) ، وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء، ومن تتريل رب العالمين، قولاً. وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته، وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوّته حسدًا له وبغيا»[٢].

ولذا فإن إبراز أوجه الإعجاز عند عرض الآية الكريمة والسنة المطهرة، من أعظم أسباب الهداية، ومن أفضل السبل للغوص في دلالات المعنى، والكشف عن أسراره.

(١) انظر نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للكردي/ ١٨٦.

(٢) جامع البيان، للطبري (٥/ ١٨٠).

المطلب الرابع: المسؤولية الفردية

من منهج القرآن الكريم في بناء اليقين أن جعل هذه المهمة مسؤولية فردية يقوم بها الإنسان سواء قام بها بمفرده أو وسط جماعة، فأمره بالتفكر والنظر والتأمل في الكون وفي القرآن الكريم ليتبين له الحق. قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ: ٤٦]، وبين عز وجل أنه وهب كل إنسان أدوات المعرفة والوسائل الصحيحة التي من خلالها يصل للحقيقة، ونهاه عن اتباع الظن وهوى النفس قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣].وأمره بالبحث العلمي وأعطاه الأدوات المعينة على ذلك وسيحاسبه عليها، وعلى حسن استثمارها فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ قال القرطبي: «وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده؛ ونظيره قوله ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))، فالإنسان راع على جوارحه، فكأنه قال: كل هذه كان الإنسان عنه مسئولا، فهو على حذف مضاف»[(١)].

كما حرم الإسلام أساليب طلب المعرفة التي تزيد الإنسان جهلا وضلال؛ فجعل سؤال الكاهن والعراف وتصديقه ذنب مخرج من الملة **فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه**

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٨٠).

فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ))(١). فالكاهن والعراف فوق أنه يستعين بالشياطين والجن ويسجد لهم، ربما دعا من يسأله للقيام ببعض الأعمال الشركية، فإن المعلومات التي يقدمها غالبـها كـذب ودجـل وتشويه للحقائق. فعن ابن عباس فقال:«كان للشياطين مقاعد في السماء فكانوا يستمعون الوحي. قال: وكانت النجـوم لا تجـري، وكانـت الشياطين لا ترمى قال: فإذا سمعوا الوحي نزلـوا إلى الأرض، فـزادوا في الكلمة تسعا...» الحديث(٢). وفي هذا ما يثبـت تلاعـب الشـياطين والسحرة بالحقائق واعتمادهم الكذب والدجل للتلاعب بعقول الناس.

إن اليقين مرحلة تحتاج لبذل جهد للوصول إليها وسؤال الله الـيقين فعن أبي بكر الصِّدِّيقَ ﷺقال: **سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: ((سَلُوا الله العَفْوَ والعافيةَ، واليقين في الآخرة والأولى»**(٣).

وكان منهج أنبياء الله البحث والتحري لزيادة يقينهم في الحقائق العظمى، كما كان الله تعالى يربي أنبياءه وأولياءه بالمواقف الفردية التي تزيدهم يقينًا(٤) قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ

(١) مستدرك الحاكم/ كتاب: الإيمان (ح١٥) وقال النووي: حديث صحيح على شرطهما.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤-٥).

(٣) مسند أحمد (١/ ١٨٥). وقال محققا الجزء الأول _شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد_ : إسناده حسن.

(٤) انظر للاستزادة: المنهج القرآني في تربية اليقين بالله سبحانه وتعالى ودلالاته التربوية دراسة في ضوء تربية الله ﷻ لأنبيائه وأوليائه في القرآن الكريم/ د. مبارك الشعبي.

يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩- ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥].

إن المسؤولية هي الميثاق الذي التزم الإنسان القيام به عند ربه. قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[الأحزاب: ٧٢]، قال ابن عباس في معنى "الأمانة" :((الفرائض التي افترضها الله على العباد))[1]. وأعظم فريضة فرضها الله تعالى تحقيق شهادة التوحيد. وذلك يتطلب العلم بمعناها والعمل بمقتضاها، إذ إن العمل هو حظ الإنسان ونصيبه في هذه الحياة لا يشاركه فيه أحد. قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ـــ ١٤]، وفي حديث **عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ:** ((**ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالا؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولا؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتيقين أحدكم النار ولو**

(١) جامع البيان/ الطبري (١٠/ ٣٣٩).

بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»[1].

المطلب الخامس: تنويع أساليب الخطاب

اليقين مرحلة عزيزة الوصول وعقول الناس وثقافاتهم تتفاوت؛ ولذلك تنوعت أساليب الخطاب في القرآن والسنة حتى تصل بالمتلقي إلى درجة اليقين المعرفي، ولعل من أبرز الأساليب التي اعتنى الكتاب والسنة بذكرها أسلوب القصص وضرب المثل، أما في القصص فقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠]، قال الزمخشري: « (**وَكُلاًّ**) التنوين فيه عوض عن المضاف إليه كأنه قيل: وكل نبأ، (**نَّقُصُّ عَلَيْكَ**)، و(**مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ**): بيان لكل، (**مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**): بدل من كلا، ويجوز أن يكون المعنى: كل اقتصاص نقصّ عليك، على معنى: وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك، يعني: على الأساليب المختلفة، و (ما نثبت به): مفعول نقص، ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه؛ لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم»[2]، وقوله: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾، أي: «اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك هو العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس»[3].

أما ضرب الأمثال الحسية للناس فإنه يعطي دلالات للمعاني أوسع مما تعطيه المفردة المجردة من المثل، إذ الأمثال تُأخذ من الواقع الحسي الــذي

(١) صحيح البخاري، كـ٣٠: الزكاة/ بـ٩: الصدقة قبل الرد، ح١٣٤٧.

(٢) الكشاف (٣/ ٢٤٨).

(٣) تفسير السعدي (٣٩٢).

يعيشه الإنسان ويتفاعل معه؛ مما يجعل للمثل قدرة عجيبة في بيان المعنى، وإيصال مراد المتكلم للسامع وسرعة الاستجابة له. وقد اعتنى القرآن الكريم والسنة المطهرة بضرب المثل كأسلوب من أساليب الخطاب، مما جعل المعاني تبدو أكثر وضوحا وبيانا. والأمثال في القرآن والسنة تزداد بيانا وجمالا وبلاغة بكثرة تدبرها وتأملها. قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ...﴾ [الرعد: ١٧]، قال ابن كثير: «هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ، احْتَمَلَتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ عَلَى قَدْرِ يَقِينِهَا وَشَكِّهَا، فَأَمَّا الشَّكُّ فَلاَ يَنْفَعُ مَعَهُ الْعَمَلُ، وَأَمَّا الْيَقِينُ فَيَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ. وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءً﴾ [وَهُوَ الشَّكُّ]، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وَهُوَ الْيَقِينُ، وَكَمَا يُجْعَلُ الْحُلِيُّ فِي النَّارِ فَيُؤْخَذُ خَالِصُهُ وَيُتْرَكُ خَبَثه فِي النَّارِ؛ فَكَذَلِكَ يَقْبَلُ اللَّهُ الْيَقِينَ وَيَتْرُكُ الشَّكَّ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَرَعَوْا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فذلك مثل من فقه فِي دِينِ اللَّهِ ونَفعه اللَّهُ بِمَا بَعَثَنِي وَنَفَعَ بِهِ، فَعَلِم وَعَلَّم، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»**[1].

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٨).

المطلب السادس: تكريم العقل وتأسيس منهجيته الفكرية

كرم الله تعالى الإنسان على كثير من الخلق بنعمة العقل، وجعله مناط التكليف، وقد جاء القرآن الكريم مخاطبا للعقل، منظما لآليات عمله، محددا لمسارات أدائه، منميا لمهارته، مؤسسا لمنهجية فكرية معتدلة قادرة على الابتكار والإبداع، واستيعاب خطاب القرآن والسنة ـ بقدر الطاقة البشرية ـ، فكان التوجيه الإلهي يفهمه العقل المسلم، ثم ينطلق للعمل به، فيبدع في توظيفه بما يتسق مع رسالته في الحياة.

لقد ترك القرآن الكريم مساحة واسعة للعقل ليتفكر ويتأمل ويتدبر ويقارن ويحلل؛ حتى يصل إلى مرحلة حق اليقين، إذ الحقيقة لا يصل إليها المرء إلا بعد بحث وجمع للمعلومات، ثم فحصها والتأكد من صحتها وصدق النتائج التي توصل لها، ثم الاعتقاد بحقيقتها، ثم تفعيل تلك النتائج من خلال الممارسة العملية في الواقع.

ولبناء اليقين من خلال التنمية الفكرية أمر الله ﷻ بالتدبر وخصه في مجالين:

الأول: التدبر في القرآن الكريم:

أمر الله تعالى بتدبر كتابه وتأمل آياته، فجعل التدبر علة نزوله، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، «والتدبر إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله من النظر في دبر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدءٍ. ومعنى ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يتأملون دلالة تفاصيل آياته على مقاصده

التي أرشد إليها المسلمون. فلو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، وما يفعل ذلك إلا أولو الألباب أصحاب العقول الذين سخروا عقولهم لتدبر كلام الله، والغوص في دلالته، فتدبرهم أفضى بهم إلى التذكرِ، والتذكرُ شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أما المنافقون فلم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن هداياته، فأدى بهم عدم تدبرهم للبقاء في فتنتهم وحيرتهم وشكهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام، وأما الكفار فلأنهم لم يدبروا القرآن استمروا في عنادهم وضلالهم وفي غمرتهم ساهون»[١].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١]. قال القرطبي: «حثَّ على تَأَمُّلِ مواعظ القرآن، وبَيَّنَ أنه لا عُذْرَ في تَرْكِ التدبر»[٢]؛ ولذا نجد أن سيرة رسول الله ﷺ (القولية والفعلية) تبين معنى التدبر وتكشف طريقته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((**كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسروها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا:** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾))[٣]، **وعَنْ عبد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا

(١) انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥/ ١٣٧-١٣٨)، (١٨/ ٨٧-٨٨)، (٢٣/ ٢٥٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٨٨).

(٣) صحيح البخاري، كـ: ٦٨: التفسير/ بـ: ١٣: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، ح٤٢١٥.

جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، **قَالَ: حَسْبُكَ الآنَ. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ))**[1]؛ ليقينه ﷺ بالخبر، واستحضاره شدة هول الموقف.

إن التدبر مهارة عقلية عُليا يمارسها العقل عند تلاوة القرآن، فيحصل انتفاع القلب به وتأثره بآياته، فيزداد إيمانا ويقينا وخضوعا لله ﷻ، كما هو حال أهل العلم الذين وصفهم تعالى في قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٦ــ١٠٩]، قال البيضاوي: «﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ كرره ــأي كرر ﴿وَيَخِرُّونَ﴾ ــ لاختلاف الحال والسبب فإن الأول للشكر عند إنجاز الوعد، والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماع القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ كما يزيدهم علما ويقينا بالله»[2]، فالسجود الأول للذين أوتوا العلم كان بسبب إتيانهم العلم بحقيقته، وهو أنهم لمعرفتهم بالوحي وأماراته عرفوا أنه وحي، وأنك نبي وذلك قبل التأمل والنظر فيما يتلى، أما السجود الثاني فكان بعد التأمل فيما ما يتلى[3].

---

(١) صحيح البخاري، كـ: ٦٩: فضائل القرآن، بـ: ٣٣: قول المقري للقارئ حسبك، ح٤٧٦٣.

(٢) أنوار التنزيل (٢/ ٥٨٥). ملخصا.

(٣) انظر: حاشية الشهاب (٦/ ٦٨).

الثاني: التدبر في الأنفس والآفاق:

إن تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس وفي الآفاق تهدي لبيان الحق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠– ٢١]، و (الموقنين): «الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة»[١]. أما غير الموقنين فسوف تقودهم المعرفة التي وصلوا إليها من خلال النظر والتفكر والبحث العلمي التجريبي إلى الضلال والانحراف، لعدم وجود اليقين الذي يوجه لحسن استثمار المعرفة وتوظيفها التوظيف الصحيح.

فالقرآن الكريم اتخذ من الحقيقة الحسية حجة وبرهانًا لإثبات الحقائق الغيبية[٢]؛ لأن المعرفة الحسية تقود للمعرفة الغيبية إذا سلم العقل والقلب من الشبهات والشهوات. قال تعالى عن منكر البعث: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس: ٧٧–٨٣]. قال ابن عطية: «نزلت الآية مبينة ومقيمة

---

(١) الكشاف (٥/ ٦١٤).

(٢) انظر المعرفة بين القرآن والفلسفة، للكردي/ ١٥٣.

للحجة في أن الإنسان نطفة، ثم يكون بعد ذلك خصيما مبينا، هل هذا إلا إحياء بعد موت وعدم حياة.ثم دلهم تعالى على الاعتبار بالنشأة الأولى، ثم عقب ذلك تعالى بدليل ثالث بإيجاد النار في العود الأخضر المرتوي ماء، وهذا هو زناد العرب موجود في كل عود.

وقوله ﷻ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٧– ٨٣]. تقرير وتوقيف على أمر، تدل صحته على صحة بعث الأجساد من القبور وإعادة الموتى»[(١)].

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٤). ملخصا.

المطلب السابع: الكشف عن عظم ثمرات اليقين

من منهج القرآن الكريم في بناء اليقين الحديث عن ثمراته العظيمة؛ وفي ذلك ما يجعل النفس أكثر إقبالاً على الالتزام باليقين كمنهج حياة.

ومن ثمرات اليقين[1] التي بينها القرآن الكريم الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]. قال السعدي: « ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم هدى، والمؤمنون به منهم، على قسمين: أئمة يهدون بأمر اللّه، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى اللّه، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: وصلوا في الإيمان بآيات اللّه، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل؛ وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين»[2].

---

(١) للاستزادة في ثمرات اليقين انظر: الشك واليقين في ضوء القرآن الكريم وأثرهما في الحياة، لحواء هواسي/ ٥٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن/ ٦٥٦.

المبحث الرابع: مانع اليقين وسبل مواجهته

اليقين أعلى درجات التصور والإدراك، ويقابله الجهل وهو أحط مستويات الإدراك، ومن هنا كان الجهل نقيض اليقين وضده ومعارضه(١). ويدل على ذلك ما يلي:

١. إن الجهل أصل في الإنسان، والعلم طارئ عليه بما يعلمه الله عزوجل. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨]، فعلم الإنسان علم نسبي، وهو لا يعلم إلا ما أراد له خالقه أن يعلمه. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥] وقال: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦]؛ ولذا عتب الله تعالى على موسى عليه السلام لما لقال: إنه أعلم الناس ولم يرد العلم لله تعالى. **فعن ابن عباس قال: حدثنا أُبَيٌّ بن كعب عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل، فسئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلم إليه))، إلى أن قال: ((فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى! ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا**

(١) انظر ضوابط المعرفة/ د. حسن حبنكة الميداني (١٢٥-١٢٦). قسم د. عبد الرحمن حسن حبنكة مراتب الإدراك إلى أربع درجات هي:
أ - درجة الحق اليقين وهي درجة العلم. ب - درجة الظن الراجح وهي درجة ما فوق الشك. ج -درجة الظن المرجوح وهي دون درجة الشك أي درجة الوهم. د -درجة مادون الظن المرجوح وهي رتبة الباطل بيقين أي مرتبة الجهل.

كنقرة هذا العصفور في البحر))[١].

٢. ينبني على النقطة السابقة؛ إن الجهل أساس رفض العلم وإنكاره لأنه ضده، لذا فهو علة جحود الكافرين وصراعهم مع أنبيائهم، وظلمهم وتعسفهم **فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:** ((**سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ، أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ ؟ فَقَالَ: "نَعَمْ"، قُلْتُ: فَلِمَ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ فَقَالَ: "إِنَّ قَومَكِ قَصَّرَتْ بِهِمِ النَّفَقَةُ" قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ، مُرْتَفِعاً؟ قَالَ: "فَعَلَ ذلك قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاؤا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاؤا. وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ، لنظَرْتُ أَنْ أُدْخَلَ الْجَدْرُ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْزَقَ بَابُهُ بِالأَرْضِ**))[٢].

فترك النبي ﷺ إدخال الجدار في البيت، مخافة أن تنكره قلوب المسلمين حديثي الإسلام، وعلل عليه الصلاة والسلام ذلك بأنهم حديثي عهد بجاهلية. فالجهل متى ما تمكن من القلب واعتاده تعذر على صاحبه تقبل ضده من العلم والحق إلا بجهاد نفس وصبر ومصابرة.

ولأهمية إبراز أثر الجهل في معارضة اليقين سوف نتناول ذلك ضمن المطالب التالية:

---

(١) صحيح البخاري، ك:٣ العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ ح(١٢٢)

(٢) صحيح مسلم، ك١٥: الحج، ب٧٠: نقض الكعبة وبنائها، ح(٤٠٥).

المطلب الأول: تعريف الجهل

الجهل لغة: تدور مادة الجهل في المعاجم اللغوية[1] على أصلين:

أحدهما: نقيض العلم. يقال: أرض مجهولة: لا أعلام بها ولا جبال.

الثاني: الخفة وخلاف الطمأنينة. يقال: استجهلت الريح الغصن، إذا حركته فاضطرب.

وكل من استخفك فقد استجهلك، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّخرُف: ٥٤]، أي: (فاستجهل قومه)[2]. وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠]. قال القرطبي: «استخف فلان فلانا: أي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي»[3]. وقال الشَيْخ زَادَهْ: «ولا يحملنك على الخفة والقلق»[4]. فأثبت الحق واليقين لوعد الله، ونفى عنهم اليقين وأثبت لهم ضده وهو الخفة والجهل.

وعلى ذلك فالجهل يتضمن معنى الخفة والسفه والطيش والاضطراب وعدم الحلم وسرعة الغضب والاستفزاز.

تعريف الجهل في الاصطلاح[5].

الجهل أربعة أنواع:

الأول: خلو النفس من العلم.

---

(١) انظر لسان العرب/ ابن منظور/ مادة: جهل، ومقاييس اللغة/ ابن فارس (١/ ٤٨٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٤٥٤).

(٤) حاشية محيي الدين شيخ زاده (٦/ ٥٦١).

(٥) انظر "مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية "، د. محمد النعيمي.

والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا.

الرابع: قول خلاف الحق.

قال ابن تَيْمِيَّة: «فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل جهلا بسيطا، فإن اعتقد خلافه: فهو جاهل جهلا مركبا، فإن قال خلاف الحق عالما بالحق، أو غير عالم: فهو جاهل أيضا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال النبي ﷺ: ((إذا كان أحدكم صائما، فلا يرفث ولا يجهل)). ومن هذا قول بعض شعراء العرب:

ألا لا يجهلن أحد علينا ** فنجهل فوق جهل الجاهلينَا

وهذا كثير. وكذا من فعل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم إنه مخالف للحق كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، قال أصحاب محمد ﷺ: كل من عمل سوء فهو جاهل.

وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب، يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه، من قول أو فعل. فمتى صدر خلافه فلابد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فيصير جهلا بهذا الاعتبار»[١].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم/ (١/ ٢٢٤-٢٢٦). وانظر المفردات، للراغب، ١٠٢.

المطلب الثاني: دلالات معاني الجهل من اليقين في القرآن الكريم

١. إن السور التي ورد فيها لفظ (الجهل) سور مكية[(١)] مما يدل على ارتباطه بقضايا الإدراك والإيمان.

٢. إن الجهل في موارده في القرآن الكريم وصف ثابت للكفار، والكفر نقيض التوحيد. ولولا الجهل بالله لما حدث الشرك قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٤]، فتوحيد الله تعالى أعظم قضية يقينية يجب الاطمئنان إليها، ويحرم الجهل بها أو الشك واضطراب المعرفة فيها.

٣. إن الجهل من أعظم أسباب الطبع على القلوب، وبذلك يحرم الإنسان من العلم ليبقى في ظلام الجهل قال تعالى: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٥٨ـ ٦٠]، قال الشَيْخ زَادَهْ: «﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها، فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق»[(٢)].

٤. إن الجهل في القرآن والسنة لم يخرج عن أحد معنيين: أحدهما: عدم العلم. الثاني: عدم العمل، إما على المستوى التصوري، أو القول، أو

---

(١) انظر تفصيل هذا في "مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية "، د. محمد النعيمي.

(٢) حاشية الشيخ محيي الدين زاده (٦/ ٥٦١).

الفعل[١].

٥. دلت الآيات على إن الجهل يمنع القلب والعقل من التسليم والإذعان للحق حتى لو كانت الأدلة قطعية الدلالة على اليقين والعلم الجازم قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

٦. إن السنة دلت على إن الضلال مرتهن بظهور الجهل، وأن الجهل لا يظهر إلا بقبض أهل العلم فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالِمٌ، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**))[٢].

٧. إن الجهل ملازم للظلم والجور واتباع الهوى، فالجاهل لا يملك من العلم والعقل ما يجعله يدرك عدالة حكم الله تعالى، ولذلك يرفضه ويحارب شرعه بخلاف أهل اليقين: «فإنهم هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله عز وجل»[٣]. قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

٨. إن الجهل علة تسلط الشياطين على ابن آدم، وتمكنهم منهم. قال

---

(١) انظر مفهوم الجهل والجاهلية/ د. محمد النعيمي/ ٨٢.

(٢) صحيح البخاري، كـ٣العلم، بـ٣٤: كيف يقبض العلم، ح١٠٠.

(٣) حاشية محيي الدين شيخ زاده (٣/ ٥٣٧).

تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩_ ٢٠٢] «فالعرف والمعروف: كل خصلة حسنة ترتضيها العقول، وتطمئن إليها النفوس»[(١)]. فالجاهل ليس عنده عقل وحكمة حتى يعلم المعروف، ويعمل به فقوله: (وأعرض عن الجاهلين) «أي: إذا أقمت عليهم الحجة، وأمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك، فأعرض عنهم؛ صيانة له، ورفعا لقدره عن مجاوبتهم»[(٢)]. ثم بينت الآيات حال إبليس مع بني آدم عن الغضب، وحرصه على الوسوسة بالشر، وموقف الناس معه فأما أهل اليقين والعلم فهم يتذكرون الله تعالى فيبصرون الحق ويعلمونه ويلتزمون به. وأما أهل الغي (والغي: الجهل)[(٣)]، فليس عندهم من التذكر واليقين بالله والاستعاذة به ما يعصمهم من الشياطين، لذلك هم إخوانهم لأنهم لا يقصرون في مدهم في الغي والشر.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ١٩٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ١٩٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ٤٢٨).

المطلب الثالث: سبل مواجهة موانع اليقين

لا سبيل للتحرر من الجهل إلا بأركان اليقين وهما:

أولا: العلم الجازم الذي لا تعارضه شبهة أو يزعزعه شك، وهذا لا يتحصل إلا بالصبر وترك العجلة، وبذل الجهد في طلب العلم، والسعي لتحصيله، مع حسن الارتباط بالله ﷻ قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، «وقل يا محمد: ربّ زدني علما إلى ما علمتني، أمره بمسألته في فوائد العلم ما لا يعلم»(١).

فالله تعالى هو العليم الخبير الذي له العلم المطلق، وكل معلوم في هذا الوجود هو من علم الله تعالى، ولا يصل الإنسان لحقيقة العلم إلا من خلال تعليم الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]، فالأصل في الإنسان الجهالة، إلا ما علمه الله تعالى، وبدون هذه القاعدة المعرفية لن يصل الإنسان إلى اليقين في علمه، وإن بدا له أن معه شيئا من العلم، فهو علم ظاهر لا قيمة له إذ إنه لا يزيد المرء إلا غفلة وجهالة،

(١) جامع البيان، الطبري (٨/ ٤٦٥).

ويبعده عن اليقين قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧].

ثانيا: العمل بمقتضى العلم: تقدم معنا في تعريف اليقين أنه العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل. فالغاية من العلم العمل به ومن تعلم ولم يعمل وقع في الغفلة التي توجب الإعراض عن الحق، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، قال الطبري: «قوله: ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾، وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر، واحتقار أهل الإيمان، سرفا قد تجاوز حده، فضيع بذلك الحق وهلك»[١].

ومن أعظم أسباب ترك العمل نسيان العلم، والغفلة عن ذكر الله تعالى، والاستسلام لوساوس الشيطان ونزغاته وتخيالاته وأوهامه، ليبقى الإنسان في دائرة الجهل.

---

(١) جامع البيان (٨/ ٢١٦).

نتائج البحث

١- ورد لفظ اليقين في القرآن الكريم بلفظ الفعل المضارع اثنتي عشرة مرة، وبلفظ الاسم ثمانيَ مرات، وبلفظ اسم الفاعل خمس مرات...ولم يرد بلفظ الفعل الماضي ولا بلفظ فعل الأمر؛ مما يدل على أن اليقين فعل مستمر يقوم به الموقن قياما لا ينقطع عنه، بحيث يكون اليقين حالاً دائمًا للموقن، ووصفًا ثابتًا له.

٢- أن العلم في القرآن الكريم يعني اليقين، وهو أعلى مراتب العلم، فكما أن العلم المثنيِّ على أهله هو العلم المتضمن للعمل، فكذلك اليقين لابد أن يشتمل العلم والعمل معا.

٣- أن اليقين مرحلة لا يصل إليها الإنسان إلا بعد بذل الجهد في طلب العلم وتحصيله، والاستزادة منه وفق مراحل تتطلب الصبر والأناة، وترك الاستعجال.

٤- لا يستلزم طلب اليقين وجود الشك؛ إذ إن اليقين درجات، وكلما بلغ الإنسان درجة من درجات اليقين تطلع إلى المرحلة التي فوقها؛ رغبة في زيادة اليقين، وليس لوجود شك يستلزم الإزالة.

٥- أن تعريف أهل السنة للإيمان بأنه اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان، هو الصحيح؛ لأن الإيمان بهذا المعنى يرادف اليقين في القرآن الكريم، واليقين يعني العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.

٦- أن الإيمان الذي ينجي صاحبه يوم القيامة هو الإيمان الذي بلغ درجة اليقين، وهو المقصود في أحاديث الوعد لأهل الإيمان بدخول الجنة إذا فعلوا الأعمال التي تنال بها رحمة الله يوم القيامة.

٧- أن الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة يعتمد تحققها على مدى رسوخ اليقين في القلب، وضعف اليقين ينتج عنه ضعف القلب وحيرته، وجهله وسوء عمله.

٨- إن أيّ معرفة لا يسعى طالبها أن يصل بها إلى مرحلة اليقين فلن يجد أي تفاعل منه معها، ومن ثَم لن تُحدث تلك المعرفةُ له أيَّ تطوير وتحسين في واقعه.

٩- اليقين مراحل تبدأ أولا باليقين المعرفي، ثم اليقين الحسي، ثم اليقين الحقيقي ولكل مرحلة من هذه المراحل فنيات، ووسائل، وطرق تعلم خاصة بها.

١٠- إن اليقين سابق للمعرفة، ومنهج ضابط لتحصيلها، ومتى انعدم اليقين أو ضعف وجوده، أصبحت المعرفة سبيلا للحيرة والشك، ومجالا للاختلاف والنزاع.

التوصيات:

١-إن علم اليقين من أهم العلوم التي جاء بها القرآن الكريم، وهو علم واسع يحتاج من الباحثين في الدراسات القرآنية أن يعتنوا بدراسته بهدف استنباط مسائله، وبيان ضوابطه، والكشف عن قواعده.

٢-تطوير البحث العلمي في علم التفسير بما يعزز بناء اليقين في نفس المسلم عند دراسته لمعاني كتاب الله تعالى.

٣- أن يعتني الباحثون في الدراسات القرآنية بتأصيل استراتيجيات التدريس الحديثة، من خلال منهج القرآن والسنة في بناء اليقين، وتقريبها للناس بما يتناسب مع لغة العصر.

٤- أن يتم التعامل مع العلوم في مختلف مجالاتها، على أنها من تعليم الله

ﻷ للإنسان؛ ولذا لابد أن تكون هذه العلوم وسيلة لزيادة المعرفة بالله تعالى، وتعميق اليقين به ﻷ، والحذر من النظرة الإلحادية في التعامل مع العلوم المادية أو الكونية.

٥- على المؤسسات التعليمية توجيه المعلم إلى أن يبدأ أولا ببناء اليقين كهدف رئيس في العملية التعليمية، فليست مهمة المعلم نقل المعرفة، بل دوره الرئيسي يكمن في بناء اليقين المعرفي من خلال المنهج التعليمي إذا ما أردنا أن يكون للتعليم أثرٌ في تعديل السلوك، وتنمية الشخصية.

٦- ضرورة العناية بتنويع طرق التدريس، واستخدام وسائل التعليم المختلفة بما يضمن وصول المعرفة إلى الطالب وصولا مستقرا في نفسه، يزيل عنه كافة الإشكالات والمسائل الغامضة عنده.

٧- جعل اليقين معيارا أساسيا من معايير تقييم الطالب ولا سيما في علوم الشريعة، وابتكار أساليب متنوعة لقياس مدى تحقق هذا المعيار عند الطالب.

٨- على الدعاة والمصلحين والمهتمين بتطوير الذات، وتعديل السلوك، العناية بإبراز معوقات اليقين في خطاباتهم التربوية، وتقديم الحلول الواقعية لمعالجتها.

المصادر والمراجع

- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** لمحمد بن محمد بن مصطفى أبي السعود العمادي، (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بدون، س بدون.
- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:** أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة (٧٢٨هـ)، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط الأولى، ١٤٠٤هـ، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، بدون ناشر.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لأبي سعيد عبد الله ابن عمر البيضاوي (٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **البرهان في علوم القرآن:** لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
- **تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير):** لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت١٣٥٩هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ-

١٩٩٥م.

- **تفسير ابن عرفة**: لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي التنوسي المالكي (ت٨٠٣هـ)، تحقيق د. حسن المناعي، مركز البحوث بكلية الزيتونة، تونس، ط الأولى، ١٩٨٦م.
- **تفسير أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني** (ت٥٠٢هـ): تحقيق محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- **التفسير البسيط**: للحسن بن علي الواحدي (ت٤٦٧هـ)، تحقيق د. محمد بن صالح الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، سلسلة الرسائل الجامعية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.
- **تفسير القرآن العظيم**: لعبد الرحمن بن أحمد ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط الثالثة، ١٤١٩هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ): تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة، ط الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **تفسير مقاتل**: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ): تحقيق عبد الله شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
- **تهذيب مدارج السالكين**: لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تهذيب عبد المنعم صالح العزي، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- **الجامع الصحيح**: لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **جامع بيان العلم وفضله**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي، دار الرسالة، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- **حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي: (عناية القاضي وكفاية الراضي)**: دار صادر، بيروت بدون رقم الطبع وسنة الطبع.
- **حاشية محيي الدين شَيْخ زَادَهْ على تفسير البيضاوي**: ضبطه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م.
- **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**: د. حسن حبنكة الميداني، دار القلم/ دمشق، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

- **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه:** لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق عبد الله المديفر، مطابع الشروق، الرياض ط: الأولى، سنة ١٤٢٠هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير:** لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الرابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- **السراج المنير:** لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٤م.
- **سنن الترمذي:** لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٨م.
- **سنن ابن ماجه:** محمد بن يزيد الْقَزْوِينيُّ (٢٧٥هـ)، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون سنة الطبع.
- **شرح سنن أبي داود:** لأبي محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني (٨٥٥هـ)، تحقيق خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- **شرح شافية ابن الحاجب:** الرضي محمد بن الحسن الاستراباذي (٦٨٦هـ)، تحقيق. محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين ،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين:** لابن قيم الجوزية٧٥١هـ، تحقيق إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عالم الفوائد، ط الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** لبدر الدين أبي محمد محمود بن

أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الأولى، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

- **العين مرتب على حروف المعجم**: للخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ: تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- **فتح القدير**: لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ.
- **الفروق اللغوية**: للإمام أبي هلال العسكري: تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم الطبعة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **القاموس المحيط**: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- **كتاب الإيمان**: لمحمد بن إسحاق بن منده (ت٣٩٥هـ)، تحقيق د. علي الفقيهي، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
- **كتاب التعريفات**: لعلي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق إبراهيم البياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجــوه التأويل:** لمحمود بن عمر الزمخشــري (ت٥٣٨هـ)، تحقيــق عــادل عبد الموجود، وعلي محمد معــوض، مكتبــة العبيكــان، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:** لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ت١٠٩٤هـ- ١٦٨٣م، قابله على نسخه خطيــة د.عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسســة الرســالة، ط الثانيــة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- **اللباب في علوم الكتاب:** لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بـــن عادل (ت٧٧٥هـ)، تحقيق عادل عبد الجواد، وعلــي معــوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- **لسان العرب:** لابن منظور ت٧١١هـ، دار إحياء التــراث العــربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- **مجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة:** جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تَيْمِيَّة، القاهرة.
- **محاسن التأويل:** لمحمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي محمد عبد الحــق بـــن غالب بن عطية (ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- **مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل:** لعبــد الله بـــن أحمــد النســفي (ت٧١٠هـ)، ضبطه وخرج أحاديثه مصطفى عميرات، دار الكتـــب

العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** تحقيق أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:** لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- **معارج القبول بشرح سلم الأصول لعلم الأصول (في التوحيد):** لحافظ بن أحمد الحكمي (١٣٧٧هـ)، ضبطه وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- **معالم التنزيل:** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، دار طيبة، الرياض، ط الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- **معجم مقاييس اللغة:** لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- **مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي:** لمحمد النعيمي، دار السلام، القاهرة، ط الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه:**أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (٨٤٠هـ)، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي،

دار العربية، بيروت، ط الثانية،١٤٠٣هـ.

- **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة:** د. راجح عبد الحميد الكردي، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** لإبراهيم بن عمر البِقَاعي (ت٨٨٥هـ)، أم القرى للطباعة والنشر، ط الأولى، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
- **نقض المنطق:** لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة ت ٧٢٨هـ: تحقيق محمد حمزة وسليمان الصنيع، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م.

النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن أحمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.